سلسلة نفيس القرآن

١٧

القاضي عبد الجبّار

تنْزيه القرآن عن المطاعِن

الجزء الثّاني

نديم قدّورة

أسعد جمعة

دار كيرانيس للطباعة والنشر والتوزيع

2024

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع

القاضي عبد الجبّار

تنْزيه القرآن عن المطاعِن

الجزء الثّاني

سورة الأنعام

سورة الأنعام

[المسألة الأولى]

وربّما سألوا عن قوله –تعالى–: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾[1]: كيف يصحّ ذلك في الجميع، وقد بيّن في غير موضع أنّه خلقهم من نطفة؟

وجوابنا: ان المراد أصل الخلقة في آدم لانه خلق من طين على ما ذكره تعالى فلما كان الكل يرجع في خلقهم الى آدم صح أن يقول –تعالى– خلقكم من طين.

[المسألة الثّانية]

وربّما قالوا في قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ قَضى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾[2] أليس ذلك يدل على أن للانسان أجلين وأنتم تمنعون من ذلك.

وجوابنا ان أجل الإنسان في الحياة هو وقت حياته وأجله في الموت هو وقت موته فاذا كان موته لا يقع الا في وقت واحد في الدّنيا كان مقتولًا أو غير مقتول، فأجله واحد والمراد بذلك ، ثمّ قضى أجلا في الدنيا لانها دار الفناء وأجل مسمّى عنده، وهو أوقات حياتهم في الآخرة التي لا انقطاع لها بين ذلك ، أن الآخرة دار البقاء.

ولذلك قال بعده: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[3] فانّما وقع ذلك منهم في باب الاعادة في الآخرة.

[المسألة الثّالثة]

---

[1] سورة الأنْعَام، الآية .

[2] سورة الأنْعَام، الآية .

[3] سورة الأنْعَام، الآية .

وربّما قالوا في قوله –تعالى–: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾[1]، كيف يصحّ أن يكون في مكانين؟ وكيف يصحّ مكان لله تعالى وقد كان موجودًا ولا مكان أصلاً؟

وجوابنا: أن المراد أنّه في السّموات والأرض بأن يعلمهما ويحفظهما ويدبرهما وقد بيّن ذلك –تعالى– بقوله من بعد: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾[2].

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قالُوا وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ﴾[3] إنّ الكذب يكون قبيحًا، وأهل الآخرة مُجبَلون[4] إلى أن لا يقع منهم القبيح.

فالمُراد بذلك: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قالُوا وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[5]، أي في الدّنيا، لأنهم كانوا يحسبون أنّهم بخلاف ذلك.

ثمّ قال: ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ﴾[6]، أي في دار الدّنيا، لأنّهم أخبَروا عن أنفسهم بنفْي الشّرك، وهم كانوا مشركين في الحقيقة.

فالكذب انما وقع منهم في الدنيا وأخبروا في الآخرة عن أحوالهم في الدنيا ومثل ذلك يكون فتنة في الآخرة عليهم لانهم يخبرون بما ليس بعذر، فلا ينفعهم ذلك. ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾[7]، يعني: ذهب ذلك عنهم وظنوا خلافه.

[المسألة الخامسة]

---

[1] سورة الأنْعَام، الآية .

[2] سورة الأنْعَام، الآية .

[3] سورة الأنْعَام، الآية .

[4] في النصّ المطبوع : ملجئون.

[5] سورة الأنْعَام، الآية .

[6] سورة الأنْعَام، الآية .

[7] سورة الأنْعَام، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى– ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً﴾[1]: كيف يصح ذلك وقد أمرهم بهذا الاستماع؟ فكيف يمنعهم بالوقر والكن؟

وجوابنا: ان ذلك تمثيل لا تحقيق من حيث لم يسمعوا ما أمروا فصاروا بمنزلة من في آذانه وقر ولم ينتفعوا بما فهموا فصاروا كمن في قلبه كن.

وقد قيل ان المراد بذلك انهم كانوا يؤذون رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– اذا قرأ القرآن فحجبوا عن استماعه من حيث كان المعلوم انهم لا ينتفعون به.

ولذلك قال بعده ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها﴾[2] وبين الله تعالى بعد اقامة الحجة ان الحجب مانعة عن معرفة كثير من الآيات اذا كان المعلوم ان يكذّب ولا ينتفع به ولذلك قال تعالى بعده ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَكانُوا﴾[3] وذمهم بذلك ولو كان المنع وقع منه لما صح أن يذمهم على منعهم منه.

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، ثمّ قال –تعالى– ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾[5] كيف يصحّ ذلك؟

وجوابنا انهم تمنوا الرد الى دار الدنيا والتمني لا يقع فيه الكذب وجد الأمر على ما تمنى أم لم يوجد ، وانما يقع الكذب في الاخبار فمعنى قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾[6] انهم بمنزلة من يكذب من حيث لو ردوا لعادوا.

---

[1] سورة الأنْعَام، الآية .
[2] سورة الأنْعَام، الآية .
[3] سورة الأنْعَام، الآية .
[4] سورة الأنْعَام، الآية .
[5] سورة الأنْعَام، الآية .
[6] سورة الأنْعَام، الآية .

[المسألة السّابعة]

فان قيل: أتقولون بجواز ردهم الى الدنيا حتى يقال لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه؟

(قيل): اما من اضطره الله تعالى الى معرفته عند المعاينة أو بعدها فلا جائز ان يكلفه بعد ذلك لكنه لما كان يجوز أن يرد من دون هذا الاضطرار جاز أن يتمنى ذلك وجاز أن يخبر تعالى عن حالهم بما وصفه على وجه التقدير.

[المسألة الثّامنة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْراضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّماءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾[1]: ما فائدة ذلك؟

وجوابنا شدة محبته –صلّى الله عليه وسلّم– لإيمانهم وقبولهم كان يوجب أن يغتم باعراضهم ويكبر ذلك عليه، فبيّن –تعالى– أن ذلك ليس في طوقه وهو متعلق باختيارهم فلو فعل ما فعل لم يجد منهم الانقياد.

ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾[2] والمراد لو شاء أن يلجئهم الى ذلك الفعل لكنه تعالى أراد ايمانهم اختيارا لينتفعوا بالثواب.

ثمّ بيّن –تعالى– بقوله: ﴿إِنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾[3] من ينتفعون بقبولهم: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[4]، فيجازيهم على ما فعلوا.

[المسألة التّاسعة]

---

[1] سورة الأنْعَام، الآية .

[2] سورة الأنْعَام، الآية .

[3] سورة الأنْعَام، الآية .

[4] سورة الأنْعَام، الآية .

وربّما قالوا في قوله –تعالى–: ﴿وَقالُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قادِرٌ عَلى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[1]: ما الفائدة في ذلك؟

وجوابنا انّه –تعالى– بيّن أن ما يلتمسونه من الآيات مقدور لله –تعالى–، لكنّهم لا يعلمون انّ ذلك بمنزلة ما قد أظهره من الآيات في انّهم لا يؤمنون عنده.

[المسألة الحادية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ﴾[2]: أليس يوجب ذلك ان كل حي مكلف؟

وجوابنا: أنّ المراد بقوله أمم جماعة فكأنه قال ما من دابة ولا طائر الا وهم جماعة من الجنس الواحد.

فأمّا أن يريد بذلك انهم مكلفون فمحال لأنا اذا كنا نعلم ان الصبيّ قبل البلوغ لا يكلف لفقد العقل فالبهائم والطير أولى بذلك.

[المسألة الثّانية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى– ﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[3]: كيف يصحّ ذلك، ونحن نعلم أنّه ليس في القرآن بيان أشياء كثيرة؟

وجوابنا: انّ المراد الشيء الذي يحتاج اليه في باب الدين، لأنّه الذي اذا لم يبينه –تعالى– يكون مفرطًا، اذ المفرط يكون مفرطا بأن لا يبين ما يجب بيانه وجميع أمور الدين قد بيّنه الله –تعالى– في القرآن إمّا مجملا وإمّا مفصلاً.

---

[1] سورة الأنْعَامِ، الآية .

[2] سورة الأنْعَامِ، الآية .

[3] سورة الأنْعَامِ، الآية .

ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُماتِ﴾[1]، نبّه بذلك على انّهم بمنزلة من هذه حاله لعدو لهم عما يجب أن يتّبعوه.

[المسألة الثّالثة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصارَكُمْ وَخَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾[2]: كيف يصحّ أن يذكر أشياء ويجمع، ثمّ يوحّد بقوله ﴿يأتيكم به﴾[3].

وجوابنا: ان المراد يأتيكم بما تقدّم ذكره وقد يصح في ذلك أن يوحد كما قد يصح أن يجمع.

وبين –تعالى– بذلك انه آتاهم هذه الآيات من سمع وبصر وقلب لينتفعوا بها فلمّا لم ينتفعوا بها فكأنها مفقودة.

ولذلك قال بعده: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾[4] موبّخا لهم على عدوّ لهم.

[المسألة الرّابعة عشر]

وربما سألوا في قوله –تعالى–: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾[5]: كيف يصح أن ينهاه عن ذلك مع وصفه لهم بالعبادة والخشية؟

وجوابنا انه –صلّى الله عليه وسلم– ربما كان يقدم الأكابر من العرب محبة منه لإيمانهم وتألفا لهم فأدبه الله –تعالى– بهذه الآية في المؤمنين لئلا يقدم غيرهم عليهم ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿وَكَذلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ

---

[1] سورة الأنْعَام ، الآية .

[2] سورة الأنْعَام، الآية .

[3] سورة الأنْعَام، الآية .

[4] سورة الأنْعَام، الآية .

[5] سورة الأنْعَام، الآية .

بَيْنِنا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾[1] نبّه بذلك على ان المقدّم هو مَن يعلمه الله –تعالى– عابدًا شاكرًا.

ثمّ قال –تعالى– لنبيّه –صلّى الله عليه وسلم–: ﴿وَإِذا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾[2] فأمره بأن يحييهم ويعرفهم عظم منزلتهم.

[المسألة الخامسة عشر]

وربّما قيل في قوله تعالى ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ﴾[3] كيف يصح أن يؤاخذ من عمل السوء ولا يعرفه.

وجوابنا انّ كلّ عامل السوء والمعصية يوصف بأنه عمله بجهالة وان كان عالما به والمراد بذلك أنه عمل ذلك على غير ما يقتضيه عقله فان الذي يوجبه العقل التحرز من ذلك.

وعلى هذا الوجه يوصف كل من يقدم على المعاصي بأنه جاهل ولا يراد بذلك الاعتقاد الذي هو جهل فلذلك قال تعالى ﴿ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4].

[المسألة السّادسة عشر]

وربّما قيل في قوله تعالى ﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾[5] ما فائدة ذلك والله عليم بكل شيء؟

وجوابنا انه تعالى كتب في اللوح المحفوظ ما سيحدث من الامور. لكن تستدل الملائكة متى وجدته على علمه وقدرته وهذا كما يحاسب يوم القيامة ويوكل الحفظة بالمكلف لاحصاء ما يأتيه ويفعله ليكون مصلحة له في الدنيا وتبكيتا له في الآخرة.

---

[1] سورة الأنْعَام، الآية .

[2] سورة الأنْعَام، الآية .

[3] سورة الأنْعَام، الآية .

[4] سورة الأنْعَام، الآية .

[5] سورة الأنْعَام، الآية .

[المسألة السّابعة عشر]

وربّما قالوا في قوله تعالى ﴿وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾[1] أنه يدل على جواز المكان له.

وجوابنا ان المراد فوقهم في القدرة والقهر لا في المكان ولذلك قال بعده ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[2] الى غير ذلك مما يدل على قدرته.

[المسألة الثّامنة عشر]

وربّما قيل في قوله تعالى ﴿حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا﴾[3] فجمع وقال في موضع آخر ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾[4] فوحد وذلك مناقضة.

وجوابنا: ان ملك الموت هو الموكل بقبض الأرواح وله جمع عظيم من الملائكة يأمرهم بذلك فلا مناقضة في هذا الباب.

[المسألة التّاسعة عشر]

وربّما قيل في قوله تعالى ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ﴾[5]: كيف يصحّ والمكان مستحيل عليه؟

وجوابنا: انّ المراد ردّوا الى حيث لا مالك ولا حاكم الاّ هو، وقد تقدّم نظائر ذلك.

[المسألة العشرون]

---

[1] سورة الأنْعَام، الآية .

[2] سورة الأنْعَام، الآية .

[3] سورة الأنْعَام، الآية .

[4] سورة الأنْعَام، الآية .

[5] سورة الأنْعَام، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿مَوْلاهُمُ الْحَقِّ﴾[1]: كيف يصح ذلك وليس يثبت مولى باطل، فيتميّز مولى الحق عنه؟

وجوابنا ان المراد: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ﴾[2] أنه الذي خلقهم فأحياهم وبلغهم هذا الحد ولا يجوز أن يشاركه غيره في ذلك وهذا هو المراد.

ولذلك قال بعده: ﴿أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبِينَ﴾[3]، فانه اذا جعل المكلف بهذه الأوصاف جازاه في الآخرة بحسب ذلك.

[المسألة الحادية والعشرون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾[4] أمَا يدل ذلك على انه تعالى أرسل الى الجن رسلا منهم كما أرسل الى الانس؟

وجوابنا ان قوله ﴿مِنْكُمْ﴾[5] لا يدل على المشاركة في انه من الجن بل قد يجوز أن يريد المشاركة في أنه من المكلفين العقلاء الذين يصلحون لذلك.

[المسألة الثّانية والعشرون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[6] أنّ هذا يدلّ على المنع من النظر في الأدلة.

وجوابنا أن المراد خوضهم في الآيات على وجه الردّ والوقيعة كما كان كثير منهم يفعله، وكيف يصح ذلك، وقد بعث –صلّى الله عليه وسلّم– بالآيات في الدّعاء اليه؟!

---

[1] سورة الأنْعَام، الآية .

[2] سورة الأنْعَام، الآية .

[3] سورة الأنْعَام، الآية .

[4] سورة الأنْعَام، الآية .

[5] سورة الأنْعَام، الآية .

[6] سورة الأنْعَام، الآية .

[المسألة الثّالثة والعشرون]

وربما قالوا في قوله –تعالى–: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّي﴾[1]: أليس ذلك كفرا من قائله، فكيف يجوز ذلك على ابراهيم؟

وجوابنا ان ذلك في حال النظر ذكر على وجه الاستدلال لا على وجه الخبر ولذلك قال بعده: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[2] فاستدلّ بحركته وغيبته على انه ليس برب وكذلك قال في الشمس والقمر وقال في آخره: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3]، فعرفه –تعالى– استدلالا بالسماوات والأرض كما نقل عنه الاستدلال على الله تعالى–.

وقد قيل: إنّ المراد بقوله هذا ربّي على وجه الاستفهام والنظر، ومثل ذلك قد يتّفق من المستدل.

[المسألة الرّابعة والعشرون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَتُحاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدانِ وَلا أَخافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ رَبِّي شَيْئاً﴾[4] وان ذلك يدلّ على انه تعالى يجوز أن يشاء الشرك.

وجوابنا ان المراد إلاّ أن يشاء ربي شيئا مما أخافه ، فرجع الاستثناء الى أسباب الخوف لا إلى الشرك.

ولذلك قال بعده: ﴿وَكَيْفَ أَخافُ ما أَشْرَكْتُمْ﴾[5] وقال بعده أيضا: «فأي الفريقين أحق بالأمن » فنبّه بذلك على أنّه لا يخاف إلّا ما يكون من قبل الله –تعالى– دون ما يتوهم للأصنام.

---

[1] سورة الأنْعَام، الآية .

[2] سورة الأنْعَام، الآية .

[3] سورة الأنْعَام، الآية .

[4] سورة الأنْعَام، الآية .

[5] سورة الأنْعَام، الآية .

ثمّ قال بعده: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾[1] فبين ان الأمن في الآخرة والاهتداء الى الثواب انما يحصل لمن يتحرز من الظلم وكل المعاصي تعد في الظلم ولذلك قال –تعالى–: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2].

ثمّ بيّن قوله –تعالى–: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ﴾[3] الى آخره ذكر الانبياء.

ثمّ قال بعده: ﴿ذلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾[4]، فبيّن أن الحجة على توحيد الله واحدة في الانبياء وغيرهم.

ثمّ قال من بعد: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[5]، فبيّن أن الشرك يحبط كل هذه الطاعات ثمّ قال: ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ﴾[6]، فنبّه بذلك انّ الدلالة واحدة.

[المسألة الخامسة والعشرون]

وربّما سألوا عن قوله –تعالى– ﴿وَمِنْ آبائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوانِهِمْ وَاجْتَبَيْناهُمْ وَهَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[7]، أليس ذلك دلالة على أنّه خصّهم بالهدى؟

وجوابنا ما تقدّم من أنّهم لما قبلوا خصهم بالذّكر.

[المسألة السّادسة والعشرون]

---

1 سورة الأنْعَام، الآية .
2 سورة الأنْعَام، الآية .
3 سورة الأنْعَام، الآية .
4 سورة الأنْعَام، الآية .
5 سورة الأنْعَام، الآية .
6 سورة الأنْعَام، الآية .
7 سورة الأنْعَام، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾[1]: كيف يصحّ، وليس في النّاس من يجعل لله شريكًا من الجنّ؟

وجوابنا: ان المراد انهم جعلوا الملائكة شركاء الجن من حيث اتفقوا في انّهم لا يرون. وقيل: ان ابليس يعبده كثير من النّاس كالشّريك لله على ما يحكى عن بعض المجوس.

[المسألة السّابعة والعشرون]

شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2]، وعن قوله –تعالى–: ﴿اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3]، وقالوا يدلّ ذلك على صحة قول المجبرة.

وجوابنا عن ذلك: انّ المراد وخلق كلّ شيء مما يوصف بأنّه مخلوق، لانّ كلّ ذلك من قبل الله تعالى–.

وهذا كقول القائل أكلت كلّ شيء يريد ممّا صحّ كونه مأكولاً، فلا يدلّ على ما قالوه؛ وقد أجيب عنه بأنّ المُراد التّكثير والمبالغة لا أنّه عموم في الحقيقة، كقوله –تعالى– : ﴿يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[4]، وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾[5]؛ وذلك مذهب العرب في المبالغة.

وبيّن ذلك قوله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[6]، فبيّن حسن ما خلق فلا يصح أن يضاف اليه شيء من القبائح.

---

[1] سورة الأنْعَام، الآية .
[2] سورة الأنْعَام، الآية .
[3] سورة الأنْعَام، الآية .
[4] سورة الأنْعَام، الآية .
[5] سورة الأنْعَام، الآية .
[6] سورة الأنْعَام، الآية .

وقيل أيضًا: انّ المراد قدر الأشياء لا أنه أوجدها وأحدثها، فما هو من فعله قد قدره، وما ليس من فعله قدّره أيضًا بأن بيّن أحواله، وذلك كقوله –تعالى–: ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ﴾[1]، والمراد: الأخبار عن حالها.

فأما دلالة قوله –عزّ وجلّ– ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ﴾[2] على أنّه – تعالى– لا يجوز أن يرى بالأبصار، فبيّن وذلك مشروح في الكتب.

وأمّا قوله –تعالى–: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[3]، فالمُراد به لطيف الفعال، لانّ اللّطف عليه في ذاته يستحيل، كما يستحيل عليه الصّغر، تعالى الله عن ذلك.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَلَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكُوا﴾[4]، فالمراد به لو شاء أن يمنعهم ويحول بينهم وبين الاختيار لما وقع الشرك منهم.

ويحتمل: ولو شاء ان يلجئهم الى خلاف الشرك لما أشركوا ومن عظيم آداب القرآن قوله –تعالى–: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[5]، فنهاهم عن سبّ آلهتهم لئلاّ يقع منهم ذكره تعالى بما لا يليق به على وجه المقابلة، لأنّ مَن ظنّ أنّه إذا سبّ آلهتهم وقع منهم ذلك يكون قد أغراهم بهذه المعصية.

[المسألة الثّامنة والعشرون]

وربّما قالوا في قوله –تعالى–: ﴿كَذلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾[6] أليس ذلك يدل على انه تعالى قد زين عمل الكفار والعصاة وذلك بخلاف قولكم وقول المسلمين.

وجوابنا ان المراد به ما ألزمهم تعالى من العمل وشرعه لهم وليس المراد ما وقع منهم وعلى هذا الوجه يقول الوالد للولد قد زينت لك العمل الذي رسمته لك فخالفتني فيسمى ما لم يقع منه عملا من حيث الامر والالزام وبين ذلك قوله –تعالى– من بعد ﴿ثُمَّ

---

[1] سورة الأنْعَام، الآية .
[2] سورة الأنْعَام، الآية .
[3] سورة الأنْعَام، الآية .
[4] سورة الأنْعَام، الآية .
[5] سورة الأنْعَام، الآية .
[6] سورة الأنْعَام، الآية .

إِلى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] على وجه الدفع لهم عن الكفر وغيره فكيف يصح أن يكون مع ذلك مزينا لما فعلوه.

وقد بيّن –تعالى– في غير موضع أن الشيطان هو المزين لعملهم.

وقد قيل: انّ المراد زينا أعمالهم من حيث ميل الطّبع والشّهوة وأمرناهم مع ذلك بالمخالفة.

والجواب الأوّل أبين.

[المسألة التّاسعة والعشرون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصارَهُمْ﴾[2] انّ ذلك يدلّ على انّه –تعالى– يخلق في قلوبهم الكفر والايمان قالوا ويقوي ذلك قوله: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[3].

وجوابنا ان المراد بذلك أنه يجعلهم كذلك في الآخرة فتقلب أفئدتهم وأبصارهم في النار تنكيلا لهم.

وأمّا قوله: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[4]، فالمراد أنه يخلي بينهم وبين ما اختاروه فلا يمنعهم كما نقول فيمن بصرناه برشده فلم يقبل قد تركناه ورأيه لأنا لم نكره ذلك منه.

وبيّن صحّة ذلك قوله –تعالى– من بعد: ﴿وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتى وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾[5]، فنبّه بذلك على انّهم خلاهم لعلمه بسوء فعالهم وانهم لا يعدلون الى الطريقة المثلى.

---

[1] سورة الأنْعَام، الآية .

[2] سورة الأنْعَام، الآية .

[3] سورة الأنْعَام، الآية .

[4] سورة الأنْعَام، الآية .

[5] سورة الأنْعَام، الآية .

ومعنى قوله: ﴿ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾[1] ان يلجئهم الى الايمان لكن ذلك لا ينفع وانما ينتفعون بما يفعلونه اختيارا فيستحقون به الثواب.

[المسألة الثّلاثون]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكابِرَ مُجْرِميها لِيَمْكُرُوا فِيها﴾[2]، وان ذلك يدل على أن مكرهم بكفرهم من قبله تعالى.

وجوابنا ان المراد بينا ذلك من حالهم كما يقال في الحاكم انه جعل الشاهد مزورا اذا بيّن ذلك من حاله ويقال ان المعتزلة جعلت المشبهة كفارا لما بينوا ذلك من حالهم كما يقال ان الحنفي جعل الوتر واجبا لما ذهب هذا المذهب.

فأما قوله تعالى ﴿لِيَمْكُرُوا فِيها﴾[3] فالمراد أنه جعلهم في كل قرية وأمرهم بالطاعة وعاقبتهم هذا المكر وهذا كقوله –تعالى–: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾[4] وانما التقطوه لغير ذلك لكن لما كان مآل أمرهم الى العداوة كما يقال خلقت الدنيا للفناء لما كان ذلك عاقبتها ولذلك قال تعالى ﴿وَما يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنْفُسِهِمْ﴾[5] فذمهم على ذلك.

[المسألة الحادية والثّلاثون]

وربّما سألوا عن قوله –تعالى–: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾[6] كيف يصح ذلك عندكم وأنتم تقولون أراد من الكل الهدى وكيف يصح ذلك ونحن نعلم ان الكافر لا يكون ضيق الصدر بكفره بل ربما يكون أشرح بما هو عليه من المؤمن.

---

[1] سورة الأنْعَام، الآية .
[2] سورة الأنْعَام، الآية .
[3] سورة الأنْعَام، الآية .
[4] سورة الأنْعَام، الآية .
[5] سورة الأنْعَام، الآية .
[6] سورة الأنْعَام، الآية .

وجوابنا ان المراد فمن يرد الله أن يهديه بزيادات الهدى كقوله –تعالى–: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً﴾[1] لشرح صدره للاسلام لان زيادات الهدى أحد ما يقوي صدر المؤمن على ايمانه وقوله ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾[2]، أي عن هذه الزّيادات من حيث يعلم انه لا ينتفع يجعل صدره ضيقا حرجا فتضطرب عليه اعتقاداته الفاسدة اذا فكر فيها.

وهذا يدل على قولنا في العدل إنه تعالى يفعل بالمؤمن ما يكون أقرب إلى ثباته على الايمان من شرح الصدر بزيادات الادلة ويفعل بالكافر ما يكون أقرب الى ان يقلع عن الكفر من ضيق الصدر والا فقد هدى الجميع بالأدلة وأزاح لهم العلة حتى لم يؤتوا الا من قبل انفسهم وكل كافر اذا فتشت عنه متى نوظر وكلم يضيق صدره بما هو عليه من الكفر عند ايراد الادلة عليه لكنه يكابر ظاهرا ويوهم انه على بصيرة ولذلك قال تعالى من بعد ﴿كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[3].

[المسألة الثّانية والثّلاثون]

وربّما سئل عن قوله –تعالى–: ﴿وَكَذلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً﴾[4] كيف يصح منه –تعالى– ان يوليهم مع ظلمهم أو ليس قد قال في سورة البقرة: ﴿لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[5].

وجوابنا: ان ذلك شبيه بقوله –تعالى–: ﴿وَلَوْ لا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾[6] فالله تعالى يقوي الظالم على غيره من الظلمة ليدفعه عن الظلم ولو لا ظلمه لكان لا يمكنه من ذلك وذلك ليس مخالفا لقوله –تعالى–: ﴿لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[7]، اذ المراد بذلك النّبوّة.

---

1 سورة الأنْعَام، الآية .
2 سورة الأنْعَام، الآية .
3 سورة الأنْعَام، الآية .
4 سورة الأنْعَام، الآية .
5 سورة الأنْعَام، الآية .
6 سورة الأنْعَام، الآية .
7 سورة الأنْعَام، الآية .

[المسألة الثّالثة والثّلاثون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[1] أما يدل ذلك على جواز المكان لله تعالى–؟

وجوابنا: ان هذه الاضافة إضافة إعظام وإكرام كما يقال ان لزيد قدرا عظيما عند عمرو لا يراد به المكان.

ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

[المسألة الرّابعة والثّلاثون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها إِلاَّ ما شاءَ اللهُ﴾[3] أو ليس في ذلك دلالة على أن في الجن والانس الكفار من لا يخلد في النار.

وجوابنا: ان المراد ما شاء الله ممّن لا يبقى على كفره ولأنه –تعالى–: ﴿قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها﴾[4] ومن الجائز ان يؤمن بعضهم فقال: ﴿إِلاَّ ما شاءَ اللهُ﴾[5].

[المسألة الخامسة والثّلاثون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ﴾[6]: أليس يدل ذلك على وجوب حق يوم الحصاد خاصّة؟

وجوابنا في ذلك انه قد روى وجوب هذا الحقّ من قبل وانه نسخ بالعشر والزّكاة.

---

[1] سورة الأنْعَام، الآية .

[2] سورة الأنْعَام، الآية .

[3] سورة الأنْعَام، الآية .

[4] سورة الأنْعَام، الآية .

[5] سورة الأنْعَام، الآية .

[6] سورة الأنْعَام، الآية .

وروى أيضا انّ المراد به نفس العشر لانّه يدخل تحت قوله وآتوا حقه يوم حصاده، والتّوقيت بذلك الوقت انّما دلّ به على الايجاب والكلام في كيفية اخراجه يرجع فيه الى دليل الشّرع.

[المسألة السّادسة والثّلاثون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾[1] ثمّ قال في آخره ﴿ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ كيف يصحّ ان يجازيهم على بغيهم بتحريم ما يحرمه ولهم في اجتناب ذلك المحرم ثواب، فيصير من هذا الوجه نعمة، فكيف يصح أن يكون عقوبة؟

وجوابنا ان المراد جزيناهم على بغيهم بتحريم ذلك عليهم من حيث نعلم ان جزاء البغي لا يكون ما يؤدي الى النفع والى الثواب وذكر بعده ما بيّن به من وجوه أنه تعالى لا يريد الشرك والكفر فقال: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ﴾[2].

وهذا مقالة المجبرة فقال تعالى ﴿كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[3] والمراد كذب الرسل الذين دعوهم الى خلافه وهو قولنا انه تعالى لا يشاء الشرك ولا سائر القبائح ثمّ قال ﴿حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا﴾[4] وهو العذاب.

والعذاب لا يذاق الا على القول القبيح ثمّ قال ﴿هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا﴾[5] ولا يقال ذلك الا للمبطل ثمّ قال: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾[6] ولا يقال ذلك للمحق ثمّ

---

[1] سورة الأنْعَام، الآية .
[2] سورة الأنْعَام، الآية .
[3] سورة الأنْعَام، الآية .
[4] سورة الأنْعَام، الآية .
[5] سورة الأنْعَام، الآية .
[6] سورة الأنْعَام، الآية .

قال: ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾[1] والمراد تقدرون ما يكون كذبا أو في حكم الكذب كما قال –تعالى–: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾[2].

ثمّ قال بعده: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ﴾[3] عاطفا على ما تقدم ثمّ قال: ﴿وَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4] بين به انه انما أراد خلاف الشرك منهم اختيارا ليفوزوا بثوابه ولو شاء ان يهديهم لهداهم اجمع.

ثمّ انّه –تعالى– عهد الى عباده بعهد جامع ووصاهم به فقال: ﴿قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾[5].

ومن تأمل هذه الآيات وعمل بها اغنته عن كلّ دليل ثمّ قال في آخره: ﴿وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[6] فبيّن ان كل ما تقدم ذكره من وصاياه جل وعز لعباده والوصايا في الشاهد يجب القيام بحقها فوصية الله تعالى أولى بذلك خصوصا وانما وصاهم بذلك لحظهم ولما يعود عليهم من النّفْع.

[المسألة السّابعة والثّلاثون]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾[7]: كيف يصح ذلك في كل الحسنات؟

وجوابنا انّه قد قيل في ذلك ان المراد به التفضل الزائد على الثواب فمنّ الله تعالى بذلك في كل حسنة ترغيبا في الطاعة وقيل فيه أيضا إن المراد فله عشر أمثالها في أنها

---

1 سورة الأنْعَام، الآية .
2 سورة الأنْعَام، الآية .
3 سورة الأنْعَام، الآية .
4 سورة الأنْعَام، الآية .
5 سورة الأنْعَام، الآية .
6 سورة الأنْعَام، الآية .
7 سورة الأنْعَام، الآية .

حسنة وان كان الواحد من ذلك ثوابا عظيما والثاني تفضل وهو دون ذلك الثواب فاذا تأولناه على هذا الوجه زال القدح.

[المسألة الثّامنة والثّلاثون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[1] كيف يصح ذلك مع تقدم اسلام سائر الانبياء وأممهم.

وجوابنا ان المراد بذلك وأنا أول المسلمين من قومي، لأنه قد تقدم قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾[2]. ومعلوم أنه –صلّى الله عليه وسلّم– كان أوّل مَن أسلم بذلك من أمته.

وقوله –تعالى–: ﴿وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْها وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾[3] دليل بيّن في أن الفعل للعبد وأنه لا يؤاخذ بما يكون من فعل غيره وأن قول من يزعم أن أطفال المشركين يعاقبون بذنوب آبائهم خطأ عظيم.

ومعنى قوله: ﴿ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾[4] ان اليه المرجع خاصة دون غيره لا كما قد عهد في الدنيا أن غير الله قد يرجع اليه في الامور ولذلك قال –تعالى–: ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[5].

ولو كان المراد الرجوع الى المكان لم يصح هذا القول ولم يكن فيه فائدة.

[المسألة التّاسعة والثّلاثون]

---

[1] سورة الأنْعَام، الآية .

[2] سورة الأنْعَام، الآية .

[3] سورة الأنْعَام، الآية .

[4] سورة الأنْعَام، الآية .

[5] سورة الأنْعَام، الآية .

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ﴾[1] بعد ذكر القرآن وهذا يوجب أنه آتاه الكتاب بعد القرآن وذلك لا يصح.

وجوابنا أن لفظة ثمّ ربما دخلت لفظا لا معنى ويكون المراد ترتيب الاعراب والاخبار كما يقال علمت فلانا العلم ثمّ ربيته فيكون قصده اعلام انعامه عليه لا ترتيب ذلك فكأنه قال ثمّ نعلمك يا محمد انا أتينا موسى الكتاب.

[المسألة الأربعون]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ واسِعَةٍ﴾[2] أليس ذلك كالاغراء بالتكذيب.

وجوابنا: ان المراد لمن يتوب منهم ولذلك قال: ﴿وَلا يُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[3] ويحتمل: فان كذبوك فقل ربكم عاجلا ذو رحمة واسعة في الرزق وغيره فيمهل ويرزق ولا يعجل بالعقوبة.

ويحتمل فقل ربكم ذو رحمة واسعة علينا وعلى من خالفنا لا يرد باسه عنه.

[المسألة الحادية والأربعون]

وربما قيل في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ﴾[4] كيف قال ذلك وهو يؤخره الى الآخرة.

وجوابنا انه وصف قدرته على ذلك على وجه الرّدع وليس المراد بيان كيف يقع، وبعد فان سريع يستعمل على وجه الاضافة الى ما هو أعظم منه في المدة او لانه يعقب الموت ثمّ يقال بتقدير السريع لان ما بين الامانة والاعادة طويله كقصيره.

---

[1] سورة الأنْعَام، الآية .

[2] سورة الأنْعَام، الآية .

[3] سورة الأنْعَام، الآية .

[4] سورة الأنْعَام، الآية .

[المسألة الثّانية والأربعون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَكَذلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ﴾[1] كيف يصح ذلك؟

وجوابنا: أنّه –تعالى– أخبر بذلك عن شركائهم فقال شركاؤهم ليردوهم فلا سؤال علينا في ذلك.

---

[1] سورة الأنْعَامِ، الآية .

سورة الأعراف

سورة الأعراف

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾[1]، كيف يصح أن يقول لمحمّد –صلّى الله عليه وسلّم– والحرج هو الشكّ، والشكّ لا يجوز عليه في القرآن؟

وجوابنا أن ذلك نهى وقد ينهاه –عزّ وجلّ– عن المعلوم انه لا يقع كما قال الله –تعالى–: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[2].

وبعد فليس الحرج هو الشك فيحتمل أن يريد به لا يكن في صدرك الضيق من القيام باداء القرآن وابلاغه ولذلك قال بعده: ﴿لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] واذا بعثه الله –تعالى– على الأداء وتوعده على تركه فغيره بذلك أولى.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا بَياتاً﴾[4]، كيف يصح بعد اهلاكهم أن يعاقبهم؟

وجوابنا: ان المراد أهلكناها بما جاءهم من بأسنا كما يقال أهلكنا القرية فخربناها وليس الاهلاك غير التخريب وانما بيّن وجه التخريب وقد قيل ان فيه تقديما وتأخيرا فكأنه قال وكم من قرية جاءها بأسنا فأهلكناها.

---

[1] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[2] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[3] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[4] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ما مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[1]: كيف يصحّ ذلك ولم يمنع من أن لا يسجد وإنما منع من السّجود؟

وجوابنا ان المراد ما منعك أن تسجد، وهو كقوله: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ﴾[2] والمراد لكي يعلموا، وكقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾[3]، والمُراد: أن لا تضلوا.

فاذا كان –تعالى– أمره بالسّجود كما قال: ﴿ما مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[4]، فقد نبّه بقوله: ﴿اذ أمرتك﴾[5] على أنّ المراد ما منعك أن تفعل ما أمرتك؛ وذلك يدلّ على قدرة ابليس على السجود كما نقوله وان لم يفعله.

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ فَاهْبِطْ مِنْها فَما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها﴾[6] لماذا خص ذلك المكان بأنّه لا يتكبر فيه دون غيره والتكبر محرم في كلّ مكان.

وجوابنا: انّ في الأماكن ما يكون له منزلة فنفس المقام فيه يكون كالتكبر.

فلمّا جعل –تعالى– ذلك الموضع مقرا للانبياء جاز أن يقول ذلك لا أن التكبر يحسن في غيره، ولذلك قال بعده: ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[7].

[المسألة الخامسة]

---

1 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

2 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

3 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

4 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

5 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

6 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

7 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ أَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾[1]: كيف يصح وقد كفر ابليس أن يجيب دعاءه.

وجوابنا: ان فعل ما سأل العبد قد لا يكون اجابة متى فعل لا لمكان المسألة في أنظاره، بل لأنّ في تبقيته مصلحة العباد ليتحرزوا من المعاصي ومصلحة له في التكليف.

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِي﴾[2]: كيف يصحّ من الله –تعالى– أن يفعل به أو بغيره ذلك وهو قبيح؟

وجوابنا: أن المراد بما أحرمتني الثواب وخيبتني منه وليس المراد به الضلال بل المراد به الحرمان ولذلك قال بعده: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾[3] الآية، ولا يليق ذلك الا بأن يقول اذا أحرمتني الثواب وخيبتني وقطعت رجائي لأفعلن كيت وكيت.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ﴾[4]: كيف الحكم في ذلك، وهو كالغيب؟

وجوابنا: أنه يجوز أن يكون قد عرف ما سيكون من الناس من حيث أعلم الله بذلك الملائكة فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها﴾[5].

فجوابنا في هذه المسألة كالجواب في تلك المسألة.

[المسألة الثّامنة]

---

[1] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[2] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[3] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[4] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[5] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

وربّما قيل: اذا كان الله تعالى قد أخرجه من الجنة وقال لآدم ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[1]، فكيف يصحّ أن يوسوس، كما قال –تعالى–: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطانُ﴾[2]؟

وجوابنا: أنّه يجوز أن يخاطبهما، وهو خارج الجنة ويجوز منهما أيضًا أن يخرجا من الجنّة، فيراهما، فليس في ذلك مناقضة.

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾[3]: كيف يصح ذلك على الأنبياء؟

وجوابنا أنّ الذي وقع منهما من الصّغائر وقع على وجه التّأويل لكن الأنبياء لما عظم الله من محلهم تعظيم الصغائر عند أنفسهم.

فعلى هذا الوجه: ﴿قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا﴾[4]، وقد يكون المرء بالصغيرة ظالما لنفسه من حيث حرمها الثواب الذي نقص لمكان الصغيرة ومن حيث يجب عليه التّأسّف والنّدم ولذلك غمّ عظيم.

[المسألة العاشرة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[5]، كيف يصح ذلك وقوله للملائكة: ﴿كان قبل ان خلقنا وصورنا﴾[6]؟

---

[1] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[2] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[3] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[4] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[5] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[6] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

وجوابنا: ان المراد خلقنا من هو أصلكم فذكر أولاده من حيث تفرعوا عنه فالمراد خلق آدم وهو كقوله –جلّ وعزّ– في سورة البقرة لأهل الكتاب: ﴿وَإِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْناكُمْ﴾[1]، والمراد: آباؤهم الذين أولادهم لم يحصلوا على هذا الوصف.

[المسألة الحادية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقاً هَدى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ﴾[2]: كيف يصح وعندكم أنه قد هدى الجميع؟

وجوابنا: ان المراد في الآخرة وفي الآخرة يكون الهدى بمعنى الثواب كانه قال فريقا هداهم الى الجنة بحسن طاعتهم وفريقا حق عليهم الضّلالة وذلك اخبار عن حال ما يعاد لكي يكون أقرب الى الطّاعة.

ولذلك قال بعده ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[3]، يعني: انّ الضّلالة حقت عليهم لهذه الطّريقة التي كانت منهم في الدّنيا.

[المسألة الثّانية عشر]

وربّما سألوا عن قوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[4]: أليس ذلك يوجب أن أحدا لا يقدر على قطع الأجل بالقتل وغيره على ما يقوله بعض المجبرة؟

وجوابنا: ان الأجل هو الوقت الذي يعيش المرء اليه فسواء انقطعت حياته بالقتل أو باماتة الله –تعالى– إيّاه ، فذلك الوقت هو أجله لا أجل له سواه ، والعبد قادر على كل أحد، لكن ما المعلوم خلافه لا يقع لانه لا يصح أن يفعله.

---

[1] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[2] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[3] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[4] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[المسألة الثّالثة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَتْ أُخْراهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلكِنْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1]، كيف يصحّ الضّعف في العقاب، وليس العقاب ممّا يصحّ فيه الزّيادة، فانّ الزّيادة عليه ظلم؟

وجوابنا: انّهم أرادوا الدّعاء عليهم بمزيد العقاب فليس من يضل ولا يضل ولا يقتدى به بمنزلة من يضل ويضل.

ومعنى قوله –تعالى–: ﴿قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾[2] أنّه لا أحد منهم الا ويستحق من العقاب زيادات على قدر معاصيه، إمّا في الوقت أو في الأوقات.

[المسألة الرّابعة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَنادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ﴾[3]، كيف يصحّ ذلك والجنّة ما خلقت بعد ولا دخلوها ولا دخلوا النّار؟

وجوابنا: أنّ التّقدير في ذلك أنّه –تعالى– كتب في اللوح المحفوظ أنّي سأكلّف النّاس، فمن أطاع منهم أدخله الجنّة، ومَن عصى أدخله النار فعند ذلك ينادي أهل الجنة أهل النار.

وينادي أهل النّار أهل الجنة وليس كلّ ما كتب في اللّوح المحفوظ ينزّله –تعالى– الى الرّسول –صلّى الله عليه وسلم–.

[المسألة الخامسة عشر]

---

[1] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[2] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[3] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هذا﴾[1]: كيف يصحّ، والنّسيان على الله –تعالى– لا يصحّ.

وجوابنا: أنّ المراد: فاليوم لا نجازيهم بالحسنى كما لم يحسنوا بالطاعة وأهل اللّغة يستعملون النّسيان بمعنى التّرك وحقيقته ما ذكرناه.

وفي قوله: ﴿لِقاءَ يَوْمِهِمْ هذا﴾[2] دلالة على أنّ كلّ آية ذكر الله –تعالى– فيها اللّقاء وذكر نفسه أراد به غيره من اليوم أو الثّواب أو غيرهما.

[المسألة السّادسة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ﴾[3]: كيف يصح ذلك وأبواب السماء لا تفتح لغيرهم أيضا.

وجوابنا: انّ المراد لا تفتح لصحفهم التي فيها أعمالهم كما قال –تعالى–: ﴿إِنَّ كِتابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾[4]، وانّ كتاب الأبرار لفي عليين وتخصيصهم بالذّكر لا يمنع من كون الفساق بمنزلتهم.

وقوله –تعالى–: ﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ﴾[5]، وهو على وجه التّبعيد يحقّق أنّ دخولهم الجنّة لا يقع.

وقوله من بعد: ﴿وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[6] يدلّ على ان الفاسق بمنزلتهم، وذلك اذا مات على فسقه.

[المسألة السّابعة عشر]

---

1 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

2 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

3 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

4 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

5 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

6 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَنادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾[1]: ما فائدة هذا السّؤال في الآخرة وكلهم يعرفون ذلك؟

وجوابنا انهم قالوه على وجه التّوبيخ لهم لا على طريق المسألة والتّعرّف.

وقوله: ﴿نِعْمَ﴾[2] كالاعتراف بتقصيرهم في الدّنيا، وانّهم أهل الانكار والتوبيخ ولذلك قال بعده: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَها عِوَجاً﴾[3].

[المسألة الثّامنة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَعَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ وَنادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾[4]: كيف يصح وصفهم بذلك، لأنّه ان أراد أصحاب الأعراف فهم عالمون ولا يوصف العالم بأنّه يدخل الجنّة انّه طامع؛ وان أريد أهل النّار فهم عالمون بدخول النّار، فكيف يطمعون في ذلك؟

وجوابنا: أنّ المراد به أصحاب الأعراف ويوصفون بالطّمع، وان كانوا من أهل الجنة تحقيقا لذلك، ولأنهم لا يعرفون وقت دخول الجنّة في حال شهاداتهم للنّاس وعليهم.

[المسألة التّاسعة عشر]

وربّما سأل الحشو عن قوله –تعالى–: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[5] انّ ذلك يدلّ على أمر الله –تعالى– في القرآن ليس بخلق ولا مخلوق.

---

[1] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[2] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[3] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[4] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[5] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

وجوابنا انّ المراد أن له الخلق والأمر من نفس الخلق فهو الذي يبقيه أو يفنيه ويتصرف فيه كيف يشاء، فلا يدلّ أفراده بالذكر على صحة ما قالوه من أنه لم يدخل الأمر تحته كقوله –تعالى–: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ﴾[1]، والاحسان من العدل وذلك كثير في الكلام.

[المسألة العشرون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾[2]: كيف يصح ذلك ومعلوم أن الذي خبث أيضا من البلاد لا يخرج نباته الا باذن الله.

وجوابنا ان المراد بذلك يخرج نباته موافقا للمراد والنفع لا نكدا ونبه –جل وعزّ– على ذلك بقوله ﴿وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً﴾[3]، وذلك نقصان في الخروج وبيان النفع به لا يكاد يقع.

وذلك مثل من الله –تعالى– لمن يعمل العمل الصالح وخلافه.

ثمّ ذكر تعالى قصص الأنبياء وأنهم دعوا الأمم الى معرفة الله تعالى وخوّفوهم عذابه وأن نوحا –صلّى الله عليه وسلم– قال لقومه: ﴿إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[4] ان لم تعبدوه وانّهم قالوا له إنّك في ضلال مبين، وأنّه قال لهم: ﴿لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾[5].

وهذه الجملة يعرف بها رفق الأنبياء وحسن دعائهم الى الدين وانهم بدءوا بالدعاء الى معرفة الله وعبادته وأنهم نزهوا أنفسهم عن الطمع في هذه الحياة وفيها اذا تأمّلها المرء ما يعتبر به ويعرف آداب الأنبياء –صلّى الله عليهم وسلّم– في الدّعاء الى الدين وصبرهم على ما نالهم من الامم فيقتدى بهم.

---

[1] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[2] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[3] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[4] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[5] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[المسألة الحادية والعشرون]

وربّما قيل في قوله –تعالى– في قصة صالح ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ﴾[1]، ثمّ قال: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي﴾[2]: كيف يجوز أن يقول لهم ذلك وقد هلكوا بأخذ الرجفة لهم؟

وجوابنا: أن في ذلك تقديما وتأخيرا ومثل ذلك يكثر في الكلام.

[المسألة الثّانية والعشرون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[3]، ثمّ قال تعالى ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً﴾[4]: كيف يصح ذلك، ومعلوم أنه لغير المؤمنين أيضًا؟

وجوابنا أنه أراد بقوله: ﴿الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ﴾[5] قد نبّه على ان ذلك لكل العباد فمراده أخيرا هو أنها للمؤمنين في الحال وفي العاقبة؛ ولذلك قال ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾[6]، فانّ مَن نال شهوته عاجلاً وعاقبته النّار لا يعدّ ما ناله نعمة عليه.

وقيل: انّ المراد بذلك ما حرموه من البحيرة والسّائبة، فبيّن انّها من الطيبات للمؤمنين من حيث عرفوا أنها من رزق الله –تعالى–.

[المسألة الثّالثة والعشرون]

---

1 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

2 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

3 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

4 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

5 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

6 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أُولئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ﴾[1]، وذلك كالمدح لهم وكيف يصحّ ذلك في الكفّار؟

وجوابنا أنّ المُراد ينالهم نصيبهم من العذاب المذكور في الكتاب.

وقيل: ينالهم نصيبهم من نعم الدنيا.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[2] عند معاينة العذاب يدلّ على ما قلنا، لأنّه بيّن به أن ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم عند نزول العذاب بهم.

[المسألة الرّابعة والعشرون]

وربّما قيل في قوله –تعالى– ﴿قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا﴾[3]: أليس هذا يدلّ على أنّ ملّتهم كان عليها شعيب من قبل، وذلك كفرٌ لا يجوز على الأنبياء؟

وجوابنا قد يقال عاد في كذا اذا ابتدأه كما يقال أن زيدا عاد الى ما يكرهه أو يحبه وان كان من قبل لم يفعل، وقد صحّ انّ الكفر والكبائر لا يجوزان على الأنبياء –صلّى الله عليهم وسلّم–.

فالمُراد إذًا: أو لتدخلن في ملتنا على وجه التّهديد قالوه لشعيب، فكان جوابه –صلّى الله عليه وسلّم–: ﴿قالَ أَوَلَوْ كُنَّا كارِهِينَ قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ﴾[4].

[المسألة الخامسة والعشرون]

---

[1] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[2] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[3] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[4] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّنا﴾[1]: أليس يدلّ ذلك على تجويز أن يشاء الله عودة شعيب الى ملّتهم مع أنّها كفر؟

وجوابنا: انّ المراد بذلك التبعيد فعلقه بالمشيئة التي يعلم أنّها لا تكون كقوله –تعالى–: ﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ﴾[2].

ويحتمل أنّه أراد الملّة التي هي الشرائع ويجوز أن يعبد الله بمثلها بعد النّهي عنه على وجه النّسخ.

[مسألة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا﴾[3]: كيف ذلك من موسى –صلّى الله عليه وسلم– مع علمه بأنه لا يؤخذ بذنب غيره؟

وجوابنا: أنّهم سألوه رؤية الله –تعالى– ولم يقنعوا بما يكون من قبل الله –تعالى– فلما سأل –صلّى الله عليه وسلّم– بقوله: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ لقومه لا لنفسه قال –تعالى–: ﴿لَنْ تَرانِي﴾[4]، وأكد ذلك بقوله: ﴿وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي﴾[5]، فشرط استقراره فلما لم يستقر بأن جعله دكًّا عند ذلك أخذتهم الصّاعقة بظلمهم ﴿وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفاقَ﴾[6] قال هذا القول توبيخا لقومه لأنّ الله –عزّ وجلّ– أخذه بذنب غيره ولذلك قال ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ﴾[7] يعني شدّة التّكليف وقد كان سأل الله الرّؤية لقومه ولم يأذن جل وعز له في ذلك والانبياء –صلّى الله عليهم وسلم– لا يسألون ربّهم ما يرغبون الاّ بعد الاذن.

فعلى هذا الوجه قال ما قال.

---

1 سورة الأَعْرَافِ، الآية .
2 سورة الأَعْرَافِ، الآية .
3 سورة الأَعْرَافِ، الآية .
4 سورة الأَعْرَافِ، الآية .
5 سورة الأَعْرَافِ، الآية .
6 سورة الأَعْرَافِ، الآية .
7 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[المسألة السّادسة والعشرون]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1]، ثمّ قال: ﴿فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[2]، وبعض ذلك يخالف بعضًا.

وجوابنا: ان المراد بذلك: الرّحمة الخاصّة التي هي الثواب وما تقدم وما تأخّر يدلّ على ذلك، لأنّه قال من قبل: ﴿قالَ عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ وَرَحْمَتِي﴾[3]، فقرنها الى العذاب.

وقال بعده: ﴿فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[4]، ثمّ وصفهم بالوصف العظيم.

وإنّما قال: ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[5] أنها لو قدرت لكل واحد لوسعته أو قاله أيضًا على وجه التّكثير والمبالغة.

[المسألة السّابعة والعشرون]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[6]: أليس ذلك كالمدح لليهود.

وجوابنا: أنه مدح من كان على ملته في أيام حياته، لأنّ تكذيبهم بعيسى ومحمد حدث من بعده.

ويحتمل أنّه مدح لقوم يؤمنون بمحمّد –صلّى الله عليه وسلم–.

[المسألة الثّامنة والعشرون]

---

[1] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[2] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[3] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[4] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[5] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[6] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾[1]: كيف يصحّ ذلك، وقد آمن بعضهم؟

فجوابنا: أنّ ذلك خبر عن قوم مخْصوصين بيّن ذلك بقوله –تعالى– من قبل: ﴿تِلْكَ الْقُرى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبائِها وَلَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾[2].

واذا كان خبرا عن قوم لم يصح هذا الالزام.

[المسألة التّاسعة والعشرون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً﴾[3]: كيف يصحّ ان يمنع من الوعظ والدّعاء الى الخير؟

وجوابنا: أن المراد بذلك اليأس من صلاحهم وتعريف القوم أنّ الوعظ لا يؤثر فيهم او على وجه التوبيخ للقوم لا انه منع من الوعظ وكيف يكون منعا.

وجوابهم: ﴿قالُوا مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[4] يبيّن انّهم وعظوا لتجويز التّقوى.

[المسألة الثّلاثون]

وربما سألوا عن قوله –تعالى–: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾[5]، كيف يصحّ ان يتجلّى وليس بجسم؟ وما فائدة تجلّيه للجبل؟

---

1 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

2 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

3 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

4 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

5 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

وجوابنا ان المراد بهذا التجلي الاظهار وذكر الله الجبل وأراد أهله فكأنه قال: فلما بيّن لاهل الجبل أنّه لا يرى بأن جعله دكًّا حصل المراد فيما سألوا وهذا كقوله –تعالى–: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] وأراد على أهلها.

وكل ذلك بمنزلة قوله: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾[2]، وأراد أهلها.

[المسألة الحادية والثّلاثون]

وربما سألوا عن قوله تعالى ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[3] كيف يصح ان يصرفهم عن آياته وأدلته.

وجوابنا: أنّ المراد سأصرفهم عن الآيات الزائدة التي يفعلها تعالى لمن المعلوم أن ينتفع بذلك ويؤمن عنده. ولذلك قال: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها﴾[4]، وهو كقوله –تعالى–: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً﴾[5]، فيزيده هدى، لأنّه ينتفع بذلك دون من لم يهتد، وان كان الكلّ سواء في اقامة الحجّة.

[المسألة الثّانية والثّلاثون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾[6]: أليس ذلك يدلّ على أنّه يخلق الهدى والضّلال؟

---

[1] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[2] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[3] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[4] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[5] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[6] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

وجوابنا انّ المراد ومَن يهد الله الى الجنّة والثّواب، فهو المهتدي في الدّنيا ومَن يضلّل عن الثواب الى العقاب ﴿فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾[1] في الدّنيا. وسبيل ذلك ان يكون بعثا من الله تعالى على الطاعة.

وكذلك قوله –تعالى–: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلا هادِيَ لَهُ﴾[2]، المُراد: مَن يضلّله عن الثّواب في الآخرة ولا هادي له إليه.

ومعنى قوله: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[3] انّا نخلّي بينهم وبين ذلك، وان كنّا قد أزحنا العلة وسهّلنا السّبيل الى الطّاعة.

[المسألة الثّالثة والثّلاثون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى﴾[4].

وفي الخبر انّ جميع بني آدم أخذ عليهم المواثيق من ظهر آدم –صلّى الله عليه وسلم– كيف يصحّ ذلك؟

وجوابنا: أن القوم مخطئون في الرواية فمن المحال أن يأخذ عليهم المواثيق وهم كالذر لا حياة لهم ولا عقل.

فالمُراد انه أخذ الميثاق من العقلاء بأن أودع في عقلهم ما ألزمهم اذ فائدة الميثاق أن يكون منبها وان يذكر المرء بالدنيا والآخرة وذلك لا يصح الاّ في العقلاء وظاهر الآية بخلاف قولهم، لأنه –تعالى– أخذ من ظهور بني آدم لا من آدم ، والمراد أنّه أخرج من ظهورهم ذرية أكمل عقولهم فأخذ الميثاق عليهم وأشهدهم على أنفسهم بما أودعه عقلهم.

[المسألة الرّابعة والثّلاثون]

---

[1] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[2] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[3] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[4] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها﴾[1]، كيف يصحّ فيمن يؤتيه الله –تعالى– من الآيات والنّبوّة أن ينسلخ من ذلك؟

وجوابنا: أنّ ذلك لا يصحّ في الانبياء والمراد من آتاه الله العلم بالأدلّة وفضله بذلك، ثمّ انسلخ منه، وذلك ممّا يصحّ وهذه طريقة كثير من المضلّين عن دينه في المسألتين المتشاكلتين في ذلك.

ويحتمل انّ المراد: آتيناه آياتنا فأعرض عن النظر فيها فصار منسلخا عنها، لأنّه قيل ثمّ انسلخ.

[المسألة الخامسة والثّلاثون]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلاَّ هُوَ﴾[2]، ثمّ قوله: ﴿يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها﴾[3] تكرار ذلك ما فائدته.

وجوابنا: انّ في الاوّل سألوا عن وقت السّاعة، فبيّن ان يحكم بأنّ علم ذلك عند ربّه –تعالى– وانّ الصّلاح أن لا يبيّن ذلك ليكون العبد الى الخوف أقرب وأراد بقوله ثانيا: ﴿يسألونك كانك حفي عنها﴾[4] المسألة عن نفس السّاعة فقد كان عالما بها في الجملة، فليس في ذلك تكرار.

[المسألة السّادسة والثّلاثون]

---

[1] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[2] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[3] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[4] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما﴾[1]: كيف يصحّ ذلك مع كونهم صالحين وانبياء؟ وكيف التّأويل في ذلك؟

وجوابنا: انّ معنى قوله: ﴿فلما آتاهما صالحا﴾[2] البنية الصحيحة في الاولاد، ولا يمتنع في الصّالح أن يكون كذلك ويقع منه الكفر والشّرك.

وليس في الظّاهر ان ذلك وقع من آدم وحواء، وانّما المراد وقوع ذلك من الذّكر والانثى من الذريّة، فهو معنى قوله: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ﴾[3].

[المسألة السّابعة والثّلاثون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾[4]: كيف يقول –صلّى الله عليه وسلم– ذلك مع زهده في الدّنيا، وهي له معرّضة؟

وجوابنا: انّ المراد لو كنت أعلم الغيب وقت خروجي من الدنيا لاستكثرت من الخير والطّاعة، فقد كان –صلّى الله عليه وسلّم– لا يعرف قدر أجله ولو عرف لزاد في الطّاعات. وليس المراد: لاستكثرت من الخير فيما يتصل بلذّات الدّنيا وقد يحتمل لاستكثرت من الخير في دفع المضار عن نفسي والمؤمنين من أصحابي.

ولذلك قال بعده: ﴿وَما مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[5].

[المسألة الثّامنة والثّلاثون]

---

1 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

2 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

3 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

4 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

5 سورة الأَعْرَافِ، الآية .

وربّما سألوا عن قول الله –تعالى–: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها﴾[1] على وجه المحاجّة لمَن يعبد الاصنام: كيف يصحّ ذلك والمعبود الذي هو الاله لا يوصف بهذه الصّفات أيضًا؟

وجوابنا: أنّ فقد هذه الاعضاء والحواسّ نقص في الاجسام ووجودها فضيلة في الأحياء، فصحّ أن يحاجّهم بذلك واستحالة ذلك على الله –تعالى– هو الذي يوجب صحّة الالهيّة، لانّها لو جازت عليه لكان محدثا، فكيف يصح ما سألوا عنه؟!

[المسألة التّاسعة والثّلاثون]

وربّما سألوا في قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ﴾[2]: كيف يصح أن يأمر بالمعروف والجهاد والاعراض عن الجاهلين، واجتماع ذلك لا يصحّ؟

وجوابنا: أنّ المُراد أن يأمرهم بالمعروف ويقيم عليهم الحجة، فان هم ردّوا ذلك فتجاهلوا أعرض عنهم، وذلك لا يتنافى.

ومعنى قوله: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ﴾[3]: التّحرّز من وسْوسة الشّيطان، لانّ الشّيطان لا يتمكّن من الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–، وربّما كان الخطاب بذكر الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– والمُراد غيره.

---

[1] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[2] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

[3] سورة الأَعْرَافِ، الآية .

سُورَةُ الأَنْفَالِ

سورة الأنفال

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ﴾[1]: كيف يتعلق الانفال بالتقوى واصلاح ذات البين؟

وجوابنا: انّ الانفال التي ملكها الله –تعالى– الرّسول وأمره بوضعها في حقها يحتاج فيها الى أن يتقوا الله والى أن يصلحوا ذات بينهم فيعدلوا عن الميل والحيف، وأن يطيعوا الله ورسوله في الرضا بما يأتيه ومفارقة السخط وذلك نهاية في الاحكام.

ثمّ وصف –تعالى– المؤمنين بما قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[3]؛ فجعل من وصف المؤمن انّه عند ذكر ربه يوجل قلبه، فيخاف من تقصير في عبادته ويرجو، وعند ذلك يصير المرء وجل القلب وعند تلاوة القرآن يزداد إيمانًا بالعلم به والعمل.

ويتوكّل على ربّه فيما يحصل له من الدّنيا وفيما يكسبه من المال فيطلبه بالوجه المباح ولا يجزع اذا لم ينله بل يسير على الحال فلا يتعداه، فيحصل متوكّلاً، وليس التّوكّل الكسل كما ظنّه بعضهم.

ولذلك قال –صلّى الله عليه وسلم–: "لو توكّلتم على الله حقّ توكله لرزقكم كما يرزق الطّير تغدو خماصا وتروح بطانا"، فجعلها متوكّلة وان طلبت وجعل مَن صفتهم اقامة الصّلاة والانفاق ممّا رزقوا وذلك يدلّ على ان الرّزق لا يكون محرما لانّ الانفاق من المحرم ليس من صفات المؤمنين.

---

[1] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

[2] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

[3] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

وكلّ ذلك يدلّ على انّ الايمان قول وعمل ويدخل فيه كل هذه الطاعات، وانّ المؤمن لا يكون مؤمنا الاّ بأن يقوم بحق العبادات؛ ومتى وقعت منه كبيرة، خرج من ان يكون مؤمنًا.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾[1] هو كلام مبتدأ به غير تام لانه لم يتقدم ولم يتأخر عنه ما يشبهه به.

وجوابنا ان هذا الجنس من الحذف ربما يعد في كمال الفصاحة.

فبشر الله نبيه بالنّصرة التّامّة وجميل العاقبة يوم بدر كما سهل له الخروج من بيته من غير قصد الى المحاربة، فهذا هو المراد.

ولذلك قال: ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ﴾[2] والمراد ثقل الخروج عليهم وقوة المشقة لا انهم كرهوا الخروج معه –صلّى الله عليه وسلّم–.

ومعنى قوله: ﴿يُجادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾[3] انّهم يراجعونك للتبيين لا أنّهم يخالفون ثمّ بين عظم المشقة بهذا الكلام ولم يكن القوم ألفوا الجهاد فانّ ذلك كان مبدأ الأمر بالقتال، فبيّن –تعالى– ان ذلك يؤدّيهم الى الخيرات من الغنائم وغيرها.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قالوا في قوله تعالى ﴿وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ﴾[4] ما معنى ذلك والحق لا يخفى في نفسه.

وجوابنا تحقيق ما وعدكم به من النصرة والغنائم.

---

[1] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

[2] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

[3] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

[4] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] كيف وقع هذا التثبيت من الملائكة للمؤمنين.

وجوابنا انه يحتمل أنّهم عرفوا الرّسول الرّسول عرف المؤمنين تقوية قلوبهم، ويحتمل انّهم ألقوا ذلك الى المؤمنين بالخواطر.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَ اللهَ قَتَلَهُمْ وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى﴾[2]: كيف يصحّ ذلك مع القول بأنّ الله –تعالى– لا يخلق أفعال العباد.

وجوابنا: أنّه –صلّى الله عليه وسلّم– كان يرمي يوم بدر والله –تعالى– بلغ برميته المقاتل، فلذلك أضافه –تعالى– الى نفسه كما أضاف الرّمية أوّلا اليه بقوله: ﴿اذ رميت﴾[3]، والكلام متّفق بحمد الله.

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ﴾[4]: كيف يصح أن يضمّ الصمّ البكم الى الذين لا يعقلون؟

وجوابنا أنه –تعالى– ذكر قبله: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾[5] فذمهم على ترك القبول ثمّ شبههم بالصم البكم على طريقة اللغة في مبالغة ذمّ مَن لا يقبل

---

[1] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

[2] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

[3] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

[4] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

[5] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

الحقّ فربما قيل فيه انه ميت كما قال –تعالى– لرسوله –صلّى الله عليه وسلم–: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى﴾[1].

ولذلك قال بعده: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ﴾[2] يعني القبول.

ثمّ قال: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[3] فذمهم نهاية الذم.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ﴾[4]، وهو بعث من الله –تعالى– على الجهاد؛ فكما ذمّ مَن قعد عنه ولم يطع الرّسول، كذلك مدح مَن قام بحقّه.

وأراد بقوله: ﴿إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ﴾[5] أنّ الجهاد يؤدي الى حياتهم من حيث لولاه لقتلهم الكفار، فهو كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ﴾[6].

ويحتمل اذا دعاكم للامر الذي يؤدي الى حياة الابد، وهو الثّواب.

[المسألة السّابعة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[7] بالاماتة وبغير ذلك.

فبعث على الجهاد قبل أن يرد عليهم ما يمنع من ذلك من موت أو غيره.

[المسألة الثّامنة]

---

1 سورة الأَنْفَالِ، الآية .

2 سورة الأَنْفَالِ، الآية .

3 سورة الأَنْفَالِ، الآية .

4 سورة الأَنْفَالِ، الآية .

5 سورة الأَنْفَالِ، الآية .

6 سورة الأَنْفَالِ، الآية .

7 سورة الأَنْفَالِ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ﴾[1]: كيف يصح ذلك والمضارّ على الله –تعالى– لا تجوز؟

وجوابنا: ان الله –تعالى– ذكر نفسه وأراد غيره على مثال قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾[2]، لأنّه قد ثبت أن خيانة الكافر للغير إنّما تكون بارادة السّوء والمضارّ وذلك لا يجوز على الله تعالى–، وذلك قوله –تعالى–: ﴿وَتَخُونُوا أَماناتِكُمْ﴾[3]، لكنّه من المجاز الحسن الموقع، لأنّ الامانة لا تسلم اذا تخللها الخيانة.

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَما لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ﴾[4] كيف يصح ان ينفي ذلك أوّلا ثمّ يثبته آخرا.

وجوابنا أنّه –تعالى– نفى ذلك بشرط وأثبته مع فقد ذلك الشرط وذلك متّفق وقد قيل إنّه نفى بالأوّل عذاب الاستئصال وأثبت ثانيًا عذاب الآخرة.

[المسألة العاشرة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلكِنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً﴾[5]: أليس ذلك يدلّ على انّ كلّ فعل يقع بقضاء الله؟

وجوابنا: انّ الآية نزلت في وقعة بدر وانه اتفق لهم ما لم يظنوه من الجهاد والظّفر، وذلك لا شبهة في أنّه من قضاء الله كقوله –تعالى–: ﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[6].

---

[1] سورة الأَنْفَالِ، الآية .
[2] سورة الأَنْفَالِ، الآية .
[3] سورة الأَنْفَالِ، الآية .
[4] سورة الأَنْفَالِ، الآية .
[5] سورة الأَنْفَالِ، الآية .
[6] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

وقد يقال في كلّ معقول انّه من قضاء الله على وجه الاعلام والأخبار إمّا مجملا وامّا مفصّلاً.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[1] يدل على أن العبد الفاعل المختار وأنه بعد البينة اختار ما يؤديه الى الهلاك ولو كان الله –تعالى– هو الخالق لذلك فيه لكان وجود البينة كعدمها.

[المسألة الحادية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[2]: قد أضاف موافقة بعضهم لبعض إلى نفسه، وذلك بخلاف قولكم.

وجوابنا أنّ الأسباب التي بها يؤتلف كانت من قبله –تعالى–، فأضاف إليه الائتلاف وهذا كما تضيف إلى الله –تعالى– الرّزق، وان كان المرء يسعى في الاكتاب وأراد –تعالى– اعظام المنّة على رسوله –صلّى الله عليه وسلّم– بما سهله من تألف القوم على طاعته وموافقته مع الذي كانوا عليه من المباينة الشّديدة ومن الآنفة والحمية.

[المسألة الثّانية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا﴾[3] كيف يصح ان يضيف ذلك الى الرسول صلّى الله عليه وسلم وهو منزه عن الرغبة في الدنيا ولا يريد الا ما أراده الله تعالى.

---

[1] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

[2] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

[3] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

وجوابنا انه لم يضف ذلك الى الرسول –صلّى الله عليه وسلم– على الحقيقة حتى يلزم ما ذكرته وانما نسبه الى غيره ممن كان بغيته الغنائم وقد يصح ايضا من الانبياء إرادة عرض الدّنيا من المباحات وان كان تعالى يريد العبادات.

ومعنى قوله –تعالى–: ﴿لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾[1] فالمراد ما كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ من كون ما وقع من باب الصغائر المغفورة وقيل لو لا كتاب سبق نزوله ما أحدثتموه من الاسرى والكتاب هو القرآن فآمنتم به واستحققتم بالايمان غفران صغائر ذنوبكم لمسكم فيما أخذتم من الامر عذاب عظيم.

[المسألة الثّالثة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً﴾[2]: أليس يدلّ ذلك على حدوث علم من الله –تعالى–؟

وجوابنا: انّه –تعالى– يذكر العلم ويريد المعلوم من حيث صحّ أن معلوم العلم يكون على ما تناوله.

وعلى هذا الوجه يمدح أحدنا صاحبه ويقول قد علمت ما أنت عليه من الخير والفضل، وذلك كثير في القرآن.

---

[1] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

[2] سورة الأَنْفَالِ، الآية .

سورة التّوبة

سورة التّوبة

[المسألة الأولى]

وربّما سألوا عن قوله –تعالى–: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[1]، ثمّ قوله: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾[2] وانسلاخها بانقضاء المحرم، وذلك ينقض الأوّل.

وجوابنا: انه كان في الكفار من له عهد ومن لا عهد له ومن له عهد يختلف عهده فقوله تعالى ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[3] هو لمن هذا عهده وقوله تعالى ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾[4] هو لمن لا عهد له أو لمن ينقضى عهده بانقضاء هذه المدة فلا اختلاف بين الكلامين.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ﴾[5]: كيف يتولّون؟

وجوابنا: انّ هذه اللّفظة تفيد التّهْديد والمراد أنه تعالى قادر على انزال العقوبة، فلم لا يجوز عليه المنع وما أكثر ما يرد في القرآن هذا اللفظ على الوجه.

[المسألة الثّالثة]

---

1 سورة التّوْبَة، الآية .

2 سورة التّوْبَة، الآية .

3 سورة التّوْبَة، الآية .

4 سورة التّوْبَة، الآية .

5 سورة التّوْبَة، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أَلِيمٍ إِلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]: كيف يصح أن يستثنيهم لمكان العهد وذلك لا ينجيهم من العذاب الاليم؟

وجوابنا: ان قوله وبشر الذين كفروا يوهم أن الاقدام على كل كافر بالقتل يجوز فانزال الله تعالى هذا الايهام بقوله: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ﴾[2] والمراد لكن الذين عاهدتم من المشركين فليس لكم اذا وفوا الا الوفاء لهم ومعنى قوله تعالى من بعد ان الله يحب المتقين ان الوفاء بالعهد يحبه الله وهو من باب التقوى.

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَعِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾[3]: كيف يستقيم تشبيه سقاية الحاج بمن آمن بالله.

وجوابنا: انّ المراد أجعلتم القيم بسقاية الحاج كمَن آمن بالله. أو يكون أجعلتم سقاية الحاج كايمان مَن آمن بالله.

ومثل هذا الحذف يحسن في اللّغة اذا كان الثابت في الكلام يدل على المحذوف.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[4]، ثمّ قوله: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُونَ﴾[5]: كيف يصح فيمن يكفر بالله –تعالى– أن يسوغ له الكفر ببذل الجزية؟

---

[1] سورة التّوْبَة، الآية .

[2] سورة التّوْبَة، الآية .

[3] سورة التّوْبَة، الآية .

[4] سورة التّوْبَة، الآية .

[5] سورة التّوْبَة، الآية .

وجوابنا: ان قتلهم لأجل كفرهم وهو شرعي لا عقلي ويجوز ان يكون الصّلاح في ذلك ما لم يعطوا الجزية.

فاذا أعطوا حرم قتلهم وربما يكون في ذلك هدايتهم للاسلام اذا أقروا ثمّ سمعوا الشرائع وقد قيل ان قتلهم على الشرك لو لم يجز تركه لأدى الى الاكراه وقد قال تعالى ﴿لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ﴾[1].

[المسألة السّادسة]

فإن قيل: فأنتم متى قلتم ذلك فان في الكفّار من لا يرضى منه إلاّ بالقتل فيجب أن يكون مكرها على الاسلام.

وجوابنا انه لا كافر الا وقد يجوز أن يتخلص ببعض الوجوه وان كان مقيمًا على الكفر، فلا يلزم ذلك.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَقالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ﴾[2]: ما فائدة وصف قولهم بذلك، وكلّ الأقوال هذا سبيلها؟

وجوابنا: ان المراد به ان هذا القول لا حقيقة له لانه قد يوصف ما لا حاصل له من الأقوال بذلك وقد يقبل أحدنا على من يتكلم بما لا يصح فيقول هذا قولك بلسانك ولا تقوله عن قلبك ويراد به ما ذكرنا ولذلك قال بعده ﴿يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[3] فبين ان ذلك من الافك الذي لا حاصل تحته.

[المسألة الثّامنة]

---

[1] سورة التّوْبَةِ، الآية .

[2] سورة التّوْبَةِ، الآية .

[3] سورة التّوْبَةِ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾[1] كيف يصح ذلك وليس فيهم من يتخذ أحبارهم أربابا وانما يقول بعضهم ذلك في عيسى فقط؟

وجوابنا ان المروى عن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: انه قال في معناه انهم لما أطيعوا فيما أمروا به ونهوا عنه وصفوا بأنهم اتخذوا أربابا وذلك صحيح فيهم وعلى هذا الوجه يوصف مالك العبد بأنه ربه اذا أطاعه فالأمر مستقيم.

وبين تعالى بعده بقوله: ﴿وَما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2] ان الطاعة والعبادة لا تحق الا لله وكل من يطيع غيره فانما يطيعه بأمر الله فتكون طاعته طاعة لله.

ثمّ قال –تعالى–: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْواهِهِمْ﴾[3] فوصف باطلهم بهذا الوصف وقال –تعالى–: ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾[4] فوصف الحق بهذا الوصف لصحته وبيانه.

ثمّ أردف ذلك بقوله –تعالى–: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ﴾[5] فبين ان الذي يؤديه –صلّى الله عليه وسلم– هو الدين الحق ووصفه بأنه يظهره على الدين كله تحقيقا لقوله جل وعز ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾[6].

ثمّ بين ما عليه الاحبار والرهبان بقوله –تعالى–: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبارِ وَالرُّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[7] فبين أن طاعتهم محرمة الّا من أمر الله بذلك فيه على ما قلنا.

---

[1] سورة التّوْبَة، الآية .
[2] سورة التّوْبَة، الآية .
[3] سورة التّوْبَة، الآية .
[4] سورة التّوْبَة، الآية .
[5] سورة التّوْبَة، الآية .
[6] سورة التّوْبَة، الآية .
[7] سورة التّوْبَة، الآية .

ثمّ أتبعه بالوعيد العظيم لمن امتنع عن الزكاة بقوله –تعالى–: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[1].

واكثر المفسّرين على أن المراد به مانع الزكاة وبين أن الأموال التي منعت منها الزكاة ﴿يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾[2] وذلك من أعظم الوعيد.

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾[3] كيف خصها بالنهي عن الظلم وحال جميع الشهور سواء في ذلك.

وجوابنا: ان للاشهر الحرم التي هي رجب وشوال وذو القعدة وذو الحجة مزية في أن الظلم فيها يكون اعظم كما أن لنفس الحرم مزية على الاماكن في الظلم فلذلك خصه بالذكر ولا يمنع ذلك فيما عداه انه بمنزلته.

[المسألة العاشرة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدِينَ﴾[4] كيف يصح ذلك وقد أمرهم بالجهاد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

وجوابنا انّه لمّا كان في خروجهم مضرة على المسلمين لنفاقهم اذ كانوا يضمرون التخريب جاز ان يقول تعالى ذلك لان الصلاح في صرفهم عن الخروج ولو خرجوا على الوجه الصّحيح لما كره الله ذلك ولذلك قال تعالى بعده ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلاَّ خَبالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾[5] وقال ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ

---

[1] سورة التّوْبَة، الآية .

[2] سورة التّوْبَة، الآية .

[3] سورة التّوْبَة، الآية .

[4] سورة التّوْبَة، الآية .

[5] سورة التّوْبَة، الآية .

الْأُمُورَ﴾[1] وكل ذلك يشهد بصحة ما ذكرناه وبين تعالى بعد ذلك ما يدل على أنه مع الفسق لا يتقبل من المرء شيء من الطاعات فقال ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ﴾[2] والتقبل لا يصح الا في الطاعات فيدل ذلك على أن الفسق والكفر لا يمنعان من وقوع الطاعة وان منعا من التقبل.

[المسألة الحادية عشر]

وربّما قيل: كيف يصح قوله –تعالى–: ﴿وَلا يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كارِهُونَ﴾[3] في صفة المنافقين وفاعل الانفاق لا يجوز أن يكون كارها له.

وجوابنا: ان المراد أنهم يكرهون ذلك الانفاق على الوجه الذي أمروا وانما ينفقون خوفًا ولا يمتنع ان يراد الشيء على وجه ويكره على وجه آخر كما يراد من الغير ان يصلّي لله ويكره منه أن يصلي على وجه الرّياء والسّمعة.

[المسألة الثّانية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كافِرُونَ﴾[4] كيف يصح ان يريد تعالى أن يعذبهم بأموالهم وأولادهم في الدنيا.

وجوابنا: ان تكثير الاموال والاولاد في الدنيا لا يكون عقوبة لان الله تعالى يفعله تفضلا أو مصلحة في الدين لكنهما لما جاز أن يكونا فتنة ومحنة وسببا للعقوبة من حيث يغتر المرء بهما فينصرف عن طريق الطاعة الى خلافه جاز أن يقول تعالى ذلك بعثا للعباد

---

[1] سورة التّوْبَةِ، الآية .

[2] سورة التّوْبَةِ، الآية .

[3] سورة التّوْبَةِ، الآية .

[4] سورة التّوْبَةِ، الآية .

عن هذا الجنس من الاغترار وهذا كقوله تعالى ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[1].

ويحتمل أن يريد أنه يعذبهم في الآخرة بها فيكون التعذيب متناولا الآخرة دون الدّنيا.

[المسألة الثّالثة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[2] كيف يصحّ أن يأمر الله تعالى ببذل المال تالفا على الدين ومتى صاروا الى الدين للمال لم ينتفعوا به؟

وجوابنا: ان ذلك وان كان في الحال لا ينتفع به فقد يكون تلطفا في الاستدراج اليه فيصير الواحد منهم بذلك من أهل الدين وقد أمرنا الله تعالى بأن نأخذ أولادنا بالصلاة لمثل هذا المعنى وان كانوا لا ينتفعون بالصلاة وليسوا مكلفين.

واختلف العلماء في المؤلفة هل يدخلون الآن في سهم من الزكاة فأكثرهم يمنع من ذلك لظهور الاسلام وقوّته واستغنائه عن تألف قوم في الذّبّ عنه والمجاهدة فيه ومن العلماء من يقول بل سهمهم ثابت ابدا واذا وجد من ليس يقوى على الايمان ويظن أنه يصير من أهل القوة فيه اذا دفع ذلك اليه فيكون حاله كحال سهم في سبيل الله للذين يجاهدون.

[المسألة الرّابعة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾[3] كيف يصح ان يكون خيرا وما يسمع قد يكون الخير والشرّ والصّواب والخطأ.

---

[1] سورة التّوْبَةِ، الآية .

[2] سورة التّوْبَةِ، الآية .

[3] سورة التّوْبَةِ، الآية .

وجوابنا: انه تعالى قيد ذلك فقال بعده ﴿يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾[1] فبيّن انّه اذن يقبل ما تكون هذه صفته وقبول الخير وما يؤدّي الى الخير هو طريقة الصّالحين.

[المسألة الخامسة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾[2] فذكرهما ثمّ وحّد؟ كيف ذلك؟

وجوابنا ان الواجب ان لا يذكر تعالى مع غيره بل يجب أن يفرد بالذكر إعظامًا.

وقد روي انه –صلّى الله عليه وسلم– سمع رجلا يقول الله ورسوله فقال الله ثمّ رسوله، ولذلك قال –تعالى– بعد ذكر نفسه ورسوله ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾[3] فأفرد ذكره وقد أفرد الله ذكر جبريل وميكائيل عن الملائكة تفخيما لهما وتعظيما، فما ذكرناه أحق وأولى.

[المسألة السّادسة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾[4] كيف يصحّ ذلك وأكثر الفساق لا يوصفون بالنّفاق؟

وجوابنا انه تعالى بيّن في المنافقين انهم كذلك لأن جميع المنافقين هم فاسقون ، وانما كان يحب ذلك لو قال ان الفاسقين هم المنافقون.

[المسألة السّابعة عشر]

---

[1] سورة التّوْبَةِ، الآية .

[2] سورة التّوْبَةِ، الآية .

[3] سورة التّوْبَةِ، الآية .

[4] سورة التّوْبَةِ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿خالِدِينَ فِيها هِيَ حَسْبُهُمْ﴾[1] كيف يصح ذلك في تعذيب المنافقين وانما يستعمل حسب في الخير ويستعمل في خلافه حسيب.

وجوابنا ان المراد بذلك الزجر عن النفاق كما تزجر من ينهمك في شرب الخمر ، فتقول: "حسبك هذا الفعل!"، فيكون على وجه الزّجر لا على وجه الوصف ولذلك قال – تعالى– بعده: ﴿وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾[2].

ثمّ انه تعالى بعد ذكر قصة المنافقين ذكر ما يحقق عدله وحكمته فقال ﴿فَما كانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ولو كان الظّلم خلقًا لله –تعالى–، لكان هو الظّالم دون أنفسهم.

ثمّ ذكر بعده –جلّ وعزّ– طريقة المؤمنين فقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ﴾ فوقف رحمته تعالى على من هذه صفته، وبين انها صفة المؤمنين وان من ليس هو كذلك لا يمدح بالايمان، وبين انه وعدهم جنات عدن على ما وصف ووعدهم برضوان من الله وان ذلك من باب الانعام الاكبر والاعظم. وبين ان ذلك هو الفوز العظيم لان من اوتي ذلك فقد أدرك نهاية المطلوب.

[المسألة الثّامنة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ﴾[3] كيف يصح ذلك ومن حكم المنافقين ان لا يجاهدوا وان يجروا مجرى المؤمنين في أحكام الدنيا؟

وجوابنا ان النفاق ما دام مكتوما فحاله ما وصفه فأما إذا ظهر فحال المنافقين في المجاهدة كحال الكفّار، وإنما ذكر تعالى ذلك عند ظهور نفاقهم على ما تقدم ذكره ولو صحّ ما ذكرته لحملنا مجاهدة المنافقين على غير الوجه الذي تحمل عليه مجاهدة الكفار.

---

[1] سورة التّوْبَة، الآية .

[2] سورة التّوْبَة، الآية .

[3] سورة التّوْبَة، الآية .

ولذلك قال تعالى لنبيه –صلّى الله عليه وسلّم– بعد ذلك ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ﴾[1] وقال بعده ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ ما قالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾[2] فنبّه بذلك على ظهور النفاق.

[المسألة التّاسعة عشر]

وربّما قيل كيف قال –تعالى– في وصفهم: ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾[3] وكانوا لم يزالوا على النّفاق.

وجوابنا أن المراد أظهروا الكفر بعد إظهار الاسلام وذلك دلالة على ما قلنا من أن نفاقهم ظهر فأوجب الله تعالى فيهم ما تقدم ذكره ، ولذلك قال تعالى بعده ﴿وَهَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا وَما نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْناهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[4].

ثمّ قال –تعالى– بعده: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا﴾[5]، فنبّه بذلك على عظم الذم في نقض العهد والمواثيق، وأن من نقضه يكون أعظم حالا ممن ابتدأ بذلك.

[المسألة العشرون]

وربّما قيل ما معنى قوله –جلّ وعزّ–: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾[6] فأضاف نفاقهم الى نفسه وأنه أدامه فيهم كيف يصح ذلك مع حكمته.

---

[1] سورة التّوْبَة، الآية .
[2] سورة التّوْبَة، الآية .
[3] سورة التّوْبَة، الآية .
[4] سورة التّوْبَة، الآية .
[5] سورة التّوْبَة، الآية .
[6] سورة التّوْبَة، الآية .

وجوابنا أنه تعالى لما خلاهم ونفاقهم ولم يلطف بهم من حيث كان المعلوم أنه لا لطف لهم لتقدم النفاق فيهم جاز أن يضيف ذلك إلى نفسه وذلك قوله ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ﴾[1] والمراد به التخلية.

ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿بِما أَخْلَفُوا اللهَ ما وَعَدُوهُ﴾[2] فبين أن المراد هو ذلك لا أنه خلق فيهم النّفاق.

وقال –تعالى– بعده: ﴿وَبِما كانُوا يَكْذِبُونَ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْواهُمْ﴾[3] وكل ذلك لا يليق الا بزجرهم عن النفاق ولو كان هو الخالق لذلك فيهم لما صح.

ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾[4] فبين أن استغفاره لا يؤثر وكذلك سائر الالطاف ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً وَآتاهُمْ تَقْواهُمْ﴾[5] لان تقدم ايمانهم صير ما يفعله لطفا لهم فاذا لم يتقدم حرموا أنفسهم ذلك وخرجوا بسوء اختيارهم عن أن يتأتى فيهم اللطف فيكون ذلك كالجناية منهم على أنفسهم وهو معنى قوله –تعالى–: ﴿كَلاَّ بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[6] ويقال انّ المعاصي اذا اجتمعت وكثرت بلغ القلب في القسْوة ما لا تؤثر فيه الالطاف.

[المسألة الحادية والعشرون]

---

[1] سورة التّوْبَة، الآية .

[2] سورة التّوْبَة، الآية .

[3] سورة التّوْبَة، الآية .

[4] سورة التّوْبَة، الآية .

[5] سورة التّوْبَة، الآية .

[6] سورة التّوْبَة، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفاقاً﴾[1] كيف يصح مع ذلك أن يقول: ﴿وَمِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[2] وذلك كالمتناقض؟

وجوابنا أن الكلام اذا اتصل دل آخره على أوّله، فالمراد بذلك البعض ويحتمل أن يراد بالاعراب من امتنع عن المهاجرة فقد كان يقال مهاجر واعرابي.

وبين ذلك قوله –تعالى–: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ﴾[3] فميّزهم من الأعراب الذين أرادهم بهذه الآية.

[المسألة الثّانية والعشرون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[4] ما فائدة ذلك والله تعالى يقبل التوبة ممن لم يعمل الا السيئات كما يقبلها ممن خلط الصالح بالسيّئ؟

وجوابنا أنّه –تعالى– نبّه بقوله: ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾[5] على وقوع التوبة منهم والندامة فلذلك خصهم بقبول التوبة لا أنه نفى قبول التوبة عن غيرهم ممن ذكره تعالى بقوله ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ﴾[6] لأن هؤلاء لم يتوبوا بل أصروا فلذلك قال تعالى ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾[7] لأنهم اذا بقوا فاما أن يصروا فالعذاب وإما أن يتوبوا فتوبتهم مقبولة.

[المسألة الثّالثة والعشرون]

---

[1] سورة التّوْبَة، الآية .

[2] سورة التّوْبَة، الآية .

[3] سورة التّوْبَة، الآية .

[4] سورة التّوْبَة، الآية .

[5] سورة التّوْبَة، الآية .

[6] سورة التّوْبَة، الآية .

[7] سورة التّوْبَة، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها﴾[1] كيف يصح الأخذ من قبل الرسول صلّى الله عليه وسلم وبفعل غيرهم لا يلحقهم المدح حتى يوصفوا بأنّهم مطهرون مزكون؟ وكيف يقول ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾[2]؟

وجوابنا: ان المراد بذلك من تاب وقبل الله توبته. فبين أنه اذا أخذ منهم الصدقة فهذه حالهم وأمره بأن يدعو لهم بالرحمة والثواب وهي معنى قوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[3].

ولذلك قال بعده: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ﴾[4] والمراد بهذا الاخذ القبول وذلك لا يليق الا بالمؤمن التائب الذي يسر ويرضى بما فعله الرسول صلّى الله عليه وسلم من أخذ الزكاة منه.

[المسألة الرّابعة والعشرون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[5] كيف يصح من الرسول والمؤمنين أن يعلموا أعمالهم ولا سبيل الى ذلك لا فيما بطن ولا فيما ظهر. وجوابنا أن المراد الاعمال الظاهرة التي يشهد الرسول بها ويشهد المؤمنون كما ذكره الله تعالى في الشهداء.

[المسألة الخامسة والعشرون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[6] كيف يدخل قتل الكفار لهم فيما به يستحقون المدح وذلك كفر منهم.

---

[1] سورة التّوْبَة، الآية .
[2] سورة التّوْبَة، الآية .
[3] سورة التّوْبَة، الآية .
[4] سورة التّوْبَة، الآية .
[5] سورة التّوْبَة، الآية .
[6] سورة التّوْبَة، الآية .

وجوابنا: ان قتل الكفّار لهم يتضمّن وقوع الصّبر الشّديد على الجهاد، فيدلّ على هذه الطّاعة العظيمة، فلذلك ذكره –تعالى–.

وعلى هذا الوجه الذي ذكرناه يوصف المقتول في الجهاد بانه شهيد لما دل القتل له على ما ذكرناه.

ودلّ –تعالى– بقوله فيما بعد: ﴿التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] على ان المؤمن لا يتكامل كونه مؤمنا الا بهذه الخصال.

ونبّه تعالى بقوله: ﴿ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ﴾[2] على انهم مستحقون العقاب لا يجوز لنا أن نستغفر لهم ونترحم عليهم وانما يجوز ذلك في المؤمن الذي نقطع بايمانه أو تظهر منه دلالة ذلك.

ودلّ –تعالى– بقوله: ﴿وَما كانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ﴾[3] على أنّه – تعالى– يريد بالضلال المضاف اليه العقاب وما شاكله فلذلك قال: ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ﴾[4] فنبّه على ان اضلاله بالعقاب لا يكون الا بعد هذا البيان وأضاف الايمان والكفر الى السّورة في قوله: ﴿وَإِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً﴾[5] الى آخر الآية على وجه المجاز لما كان الايمان منهم عند نزولها.

ولمّا كان الرّجس والكفر من الكفّار عند نزولها وذلك معلوم، وهو كقوله –تعالى–: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾[6] اذ معلوم لكل واحد ان المراد أهلها وزجر تعالى عباده بقوله: ﴿أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[7] فبيّن أنّه لا يدع بما

---

[1] سورة التّوْبَة، الآية .
[2] سورة التّوْبَة، الآية .
[3] سورة التّوْبَة، الآية .
[4] سورة التّوْبَة، الآية .
[5] سورة التّوْبَة، الآية .
[6] سورة التّوْبَة، الآية .
[7] سورة التّوْبَة، الآية .

ينزل بهم من الامراض والمصائب والمحن سترا يحجبهم عن الطاعة والتوبة وهم مع ذلك غافلون وذلك زجر عظيم عن الاعراض وترك التّوبة.

[المسألة السّادسة والعشرون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾[1] انّ ذلك يدلّ على أنه جل وعز يصرفهم عن الطاعة فما تأويل ذلك.

وجوابنا أنّ المراد ثمّ انصرفوا بترك الطاعة والتوبة صرف الله قلوبهم أي عاقبهم على انصرافهم، كما قال –تعالى–: ﴿فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾[3].

[المسألة السّابعة والعشرون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[4] انّ هذا كالنصّ في انّه –تعالى– خلق الكفر فيهم.

وجوابنا أنّهم كانوا يؤخرون الحجّ من شهر الى شهر، فبيّن –تعالى– انهم يضلّون بذلك لا انّ الله –تعالى– يفعله فالاضلال منسوب اليهم لا اليه –تعالى–.

[المسألة الثّامنة والعشرون]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾[5] انّ ذلك يدلّ على أنه يمنعهم من الطاعة.

---

[1] سورة التّوْبَة، الآية .

[2] سورة التّوْبَة، الآية .

[3] سورة التّوْبَة، الآية .

[4] سورة التّوْبَة، الآية .

[5] سورة التّوْبَة، الآية .

وجوابنا: انّ كلامنا في الطّبع وانّه علامة كالختم، وانّه لا يمنع من الايمان كما تقدّم.

سورة يونس

سورة يونس

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ﴾[1] انّ ذلك كالنّص في انّه –تعالى– جسم يجوز عليه المكان.

وجوابنا ان المراد بالاستواء الاستيلاء والاقتدار كما يقال استوى الخليفة على العراق، وكما قال الشّاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وقد ثبت بدليل العقل أن ما يصح عليه الاستواء من الأجسام. ولا يكون إلاّ محدثا مفعولا فلا بد من هذا التّأويل.

[المسألة الثّانية]

(فإن قيل:) فلماذا قال الله –تعالى–: ﴿ثُمَّ اسْتَوى﴾[2] ومعلوم أنّ اقتداره لم يتجدّد.

وجوابنا: ان ثمّ في اللفظ دخلت على الاستواء والمراد دخولها على التدبير، وهو قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾[3] والتّدبير من الله –تعالى– حادث.

[المسألة الثّالثة]

ومتى قيل: فلماذا خص العرش بالذكر وهو مقتدر على كل شيء؟

---

[1] سورة يُونس، الآية .

[2] سورة يُونس، الآية .

[3] سورة يُونس، الآية .

فجوابنا لعظم العرش وهذا كقوله تعالى ﴿رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] وان كان ربا لغيرهما ومعنى قوله بعد ذلك ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾[2] ان مرجع الخلق اليه حيث لا مالك سواه ، كما يقال رجع أمرنا الى الخليفة اذا كان هو الناظر في أمرهم وليس المراد بذلك المكان؟

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا﴾[3] ان ذلك يدل على جواز لقائه بالرؤية والمشاهدة.

وجوابنا ان المراد لا يرجون لقاء ثوابنا واكرامنا ولا يرجون المجازاة على ما يكون في الدنيا وهذا كقوله ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ﴾[4] وكقوله: ﴿إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾[5].

وبعد، فقد يقال لقي فلان فلانا وان لم يره وقد يوصف بذلك الضرير اذا حضر غيره وقد يرى الرجل غيره من بعد ولا يقال لقيه ، فليس معنى اللقاء الرؤية، ولذلك قال –تعالى– بعده ﴿وَرَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَاطْمَأَنُّوا بِها﴾[6] فنبه بذلك على ان المراد انهم لا يؤمنون بيوم القيامة.

وقوله –تعالى– بعد ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ﴾[7] يدلّ على أنّ الهدى هو الثواب فيكون حجة على ما نتأول عليه.

---

[1] سورة يُونس، الآية .
[2] سورة يُونس، الآية .
[3] سورة يُونس، الآية .
[4] سورة يُونس، الآية .
[5] سورة يُونس، الآية .
[6] سورة يُونس، الآية .
[7] سورة يُونس، الآية .

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا فِي طُغْيانِهِمْ﴾[1] ان ذلك يدل على ارادته لذلك.

وجوابنا: أنّ المراد نخلي بينهم وبين ذلك وان كنا لا نأمر ولا نريد الا الطاعة.

وهذا كقوله: ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[2] والمُراد: التّخلية وكما يقال أرسل فلان كلبه على من يدخل داره اذا لم يمنعه من الوثوب على النّاس.

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[3] أليس في ذلك دلالة على أنّه –تعالى– لا يعلم الشيء حتى يكون؟

وجوابنا أنّ المُراد بذلك: لننظر نفس العمل، وهو –تعالى– يراه بعد وجوده.

وأمّا علمه، فلم يزل ولا يزال.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَاللهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ﴾[4]، فعمّم ذلك.

ثمّ قال: ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[5]، فخصّ كيف يصحّ ذلك.

وجوابنا: أنّه يدعو إلى دار السّلام الكافة.

ومعنى قوله: ﴿ويهدي من يشاء﴾[6]، أي من قبل ما كلفه دون من لم يقبل.

---

[1] سورة يُونس، الآية .

[2] سورة يُونس، الآية .

[3] سورة يُونس، الآية .

[4] سورة يُونس، الآية .

[5] سورة يُونس، الآية .

[6] سورة يُونس، الآية .

ويحتمل أن يراد بهذه الهداية نفس الثّواب، فيكون قد دعا كل الخلق وأثاب من آمن منهم.

[المسألة الثّامنة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ﴾[1]، أليس المراد بها الرؤية على ما روي في الخبر؟

وجوابنا ان المراد بالزيادة التفضيل في الثواب فتكون الزيادة من جنس المزيد عليه وهذا مروي وهو الظّاهر فلا معنى لتعلقهم بذلك. وكيف يصحّ ذلك لهم وعندهم ان الرؤية أعظم من كلّ الثّواب؟ فكيف تجعل زيادة على الحسنى؟

ولذلك قال بعده: ﴿وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ﴾[2]، فبيّن أن الزيادة هي من هذا الجنس في الجنة.

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾[3] كيف يصح ذلك وكثير من الأحكام يعول فيها على الظنّ.

وجوابنا أنّه –تعالى– ذكر ذلك في محاجة من يعبد الاصنام في قوله –تعالى–: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾[4] إلى غير ذلك والظنّ في هذا الحقّ لا يقبل وانّما يقبل الاجتهاد.

[المسألة العاشرة]

---

[1] سورة يُونس، الآية .

[2] سورة يُونس، الآية .

[3] سورة يُونس، الآية .

[4] سورة يُونس، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾[1] ما الفائدة في هذا الجواب.

وجوابنا: أنّه لا يقول ذلك على وجه الحجّاج، لكنّه إذا أقام الحجة واستمروا على التّكذيب صحّ أن يزجرهم بهذا القول ، وقد كان –صلّى الله عليه وسلّم– يغتم بمثل ذلك، فكان تسلية من الله تعالى له.

وما بعده من قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ﴾[2]، وقوله: ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾[3] كل ذلك يدلّ أن المراد طريقة الزجر لهم.

ثمّ ذكر تعالى بعده بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[4] ان الظلم من قبلهم ولم يؤتوا فيه إلا من جهة تقصيرهم وأنهم ممكنون من تركه والعدول عنه كما نقول في هذا الباب.

[المسألة الحادية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَقالَ مُوسى رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوالاً فِي الْحَياةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ﴾[5]: كيف يجوز من موسى أن يسأل ربّه ذلك وأن يعتقد أنّه –تعالى– رزقهم لكي يضلوا؟

---

[1] سورة يُونس، الآية .

[2] سورة يُونس، الآية .

[3] سورة يُونس، الآية .

[4] سورة يُونس، الآية .

[5] سورة يُونس، الآية .

وجوابنا: أنّ المُراد أنعمت عليهم بهذه النّعم فسيروها سببا لضلالتهم؛ فمعنى قوله: ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾[1] أنّ عاقبتهم ذلك كقوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾[2].

وأمّا قوله –تعالى–: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾[3]، فهو دعاء عليهم وقد ضلوا ويجوز أن يدعى على من قد ضلّ وكفر بضروب العقاب ويجوز أنّه يدعو عليهم بالاحترام والأماتة الذين معهما لا يؤمنون حتى يروا العذاب الاليم في الآخرة لأنه من المعلوم أنّه لا يؤمن أبدًا كلّما عجل احترامه يكون عقابه أخف وبيّن –تعالى– بقوله: ﴿حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ﴾[4] ثمّ قال: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[5] أنّ الايمان مع الالجاء لا ينفع وإنّما ينفع والمرء متمكّن من اختيار الطّاعة والمعصية وداعيته متردّدة بين الأمريْن.

[المسألة الثّانية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾[6] كيف يصح في العلم ان يكون سببا للاختلاف والقول الباطل.

وجوابنا أن المراد بذلك انهم اختلفوا وقد أقام الحجة وأوضح الطريق لهم على جهة الندم لهم ، ولذلك قال بعده: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[7].

[المسألة الثّالثة عشر]

---

[1] سورة يُونس، الآية .

[2] سورة يُونس، الآية .

[3] سورة يُونس، الآية .

[4] سورة يُونس، الآية .

[5] سورة يُونس، الآية .

[6] سورة يُونس، الآية .

[7] سورة يُونس، الآية .

وربّما قيل: كيف يجوز أن يقول –تعالى– لنبيّه –صلّى الله عليه وسلم– ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[1]، ومعلوم انّ الشكّ في ذلك لا يجوز عليه؟

وجوابنا انّه –تعالى– ذكره والمراد من شك في ذلك على وجه الزّجر أو قال ذلك لاهل الكتاب الذين يجوز أن يسألهم غيرهم عما في الكتب من تصديق محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–.

[المسألة الرّابعة عشر]

وربّما قالوا في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[2]: أليس ذلك يدلّ على ان تقدّم كلمته تعالى يمنع من الايمان؟

وجوابنا: ان المراد ان من المعلوم انه لا يؤمن وقد سبقت الكتابة من الله تعالى بذلك في اللوح المحفوظ لا يؤمن لكنه انما لا يؤمن اختيارا وكما سبق ذلك في الكتاب فقد سبق فيه أيضًا انّه يمكن من الايمان فيعدل عنه بسوء اختياره ولذلك قال تعالى ﴿وَلَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾[3] ولو كان ذلك يمنع من الايمان لم يكن في مجيء الآيات فائدة.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾[4] دلالة على انه لم يشأ إيمانهم على وجه الاكراه مع قدرته على أن يكرههم عليه وأنما سأل ذلك على وجه التطوع والاختيار لكي يفوزوا بما عرضوا له من الثواب.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ حَقًّا عَلَيْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5] بعد تقدم ذكر العقاب يدل على ان من ليس بمؤمن من الفساق والكفار لا ينجيهم الله من العقاب.

---

[1] سورة يُونس، الآية .

[2] سورة يُونس، الآية .

[3] سورة يُونس، الآية .

[4] سورة يُونس، الآية .

[5] سورة يُونس، الآية .

[المسألة الخامسة عشر]

وربّما قيل: كيف جاز أن يقول موسى للسّحرة: ﴿أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾[1]، وذلك معصية لا يحسن الأمر بها؟

وجوابنا: انّه قال لهم لا على وجه الأمر، لكن على وجه التعريف بأنهم مبطلون وان باطلهم ينكشف بما سيأتيه فهو قريب من تحدي الانبياء بالمعجزات.

[المسألة السّادسة عشر]

وربّما قيل ما فائدة قوله –تعالى–: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾[2] والتّنجية لا تكون الا بالبدن.

وجوابنا: ان المراد انا ننجيك خاصة دون غيرك.

[المسألة السّابعة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَما تُغْنِي الْآياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾[3] كيف يفعل من ذلك ما لم يغن عنهم شيئا.

وجوابنا: ان ذلك كالزجر من حيث ينصرفون عما فيه حظهم ويحتمل انه لا يغني عنهم في الآخرة اذا عوقبوا من حيث تركوا القبول.

[المسألة الثّامنة عشر]

---

[1] سورة يُونس، الآية .

[2] سورة يُونس، الآية .

[3] سورة يُونس، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[1]: كيف يجوز وقد سألوه أن يقتصر على الجواب واليمين دون الحجّة؟

وجوابنا: انّه قد أقام الحجة وانما أراد منه الفتوى فأفتاهم وأكّد ذلك باليمين.

[1] سورة يُونس، الآية .

سورة الهُمَزة

سورة هود

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾[1] كيف يصح ذلك والتّفصيل ليس بشيء غير الأحكام؟

وجوابنا: أنّ الله –تعالى– كتب القرآن في اللوح المحفوظ ثمّ أنزله مفصلا الى الرسول لا جملة واحدة بحسب المصلحة فهذا معنى قوله ثمّ قال: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ لانه تعالى أمر بانزاله على هذا الحال من التفصيل بعد إحكام الجميع.

وهذه الآية تدل على أن القرآن فعله تعالى من حيث وصفه بأنه أحكمه وذلك لا يتأتى الا في الافعال ومن حيث وصفه بأنه فصلت آياته ومن حيث وصفه بأنه من لدن القديم تعالى وانما يقال ذلك في الأفعال كما يقال ان هذه النعم من فضله وبين ما تقتضيه آيات الكتاب بقوله: ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[2] فبين ما تضمنه الكتاب وبين حال التائب وانه يمتعه متاعا حسنا ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾[3] وبين حكم المصر بقوله: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[4] ثمّ بيّن آن المرجع الى الله تعالى والمراد الى يوم لا حاكم ولا مالك سواه وهو يوم القيامة وبيّن بقوله –تعالى–: ﴿وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُها﴾[5] تكفله بإرزاق كلّ حيّ.

[المسألة الثّانية]

---

[1] سورة هُود، الآية .

[2] سورة هُود، الآية .

[3] سورة هُود، الآية .

[4] سورة هُود، الآية .

[5] سورة هُود، الآية .

ومتى قيل فاذا تكفل بذلك فلما ذا يلزمه السّعي؟

فجوابنا أن تكفله هو على هذا الوجه لا على حد الابتداء كما ان تكفله برزق الولد هو على وجه المباشرة لا على وجه الابتداء وبين ان كل ذلك مكتوب في الكتاب المبين وفائدة كتابة ذلك في اللوح المحفوظ ان الملائكة تعتبر بذلك وتعرف قدرة الله تعالى وعلمه اذا وافق ما يحدث من الامور ذلك المكتوب.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[1]: ما الفائدة في خلقهما في هذه الايام وهو قادر على أن يخلقهما في لحظة واحدة؟

وجوابنا: انّه –تعالى– خلقهما في هذه المدّة مصلحة للملائكة، لكي يعتبروا بذلك كما انّه قادر على جمع كل رزق لنا في يوم واحد، لكنّه للمصلحة يفعله حالا بعد حال.

ولذلك قال بعده ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[2] وبين تعالى بقوله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت انكارهم للاعادة وبين بقوله: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ﴾[3] استعجالهم بما كان يخوف به الرّسول –صلّى الله عليه وسلم– وبين آخرا بقوله: ﴿أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾[4] ان ذلك مؤخر لأنه –تعالى– حليم لا يعجل العقوبة ويمهل توقعا للتوبة وبين تعالى طريقة الانسان المذمومة بقوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[5] فبين انهم عند الاحسان اليهم يفرحون فاذا نزع ذلك لمصلحة يوجد منهم كفر النعمة واذا أجزل النعم عليهم يسلكون طريقة الفخر والفرح دون الانقطاع الى الله وتعالى والتواضع له وذلك تأديب من الله تعالى فيما ينبغي أن يفعله المرء عند الغنى

---

[1] سورة هُود، الآية .

[2] سورة هُود، الآية .

[3] سورة هُود، الآية .

[4] سورة هُود، الآية .

[5] سورة هُود، الآية .

والفقر وفيما يكره منه ولذلك قال بعده ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾[1] فاسْتثْناهم من القوم.

[المسألة الرّابعة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ﴾[2] ما الفائدة في هذا الابتداء ولا خبر له.

وجوابنا: ان الخبر قد يحذف اذا كان كالمعلوم والمراد أفمن كان بهذا الوصف كمن هو يكفر ولا يسلك طريقة العبادة وما توجبه البيّنة.

[المسألة الخامسة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ﴾[3] أنه يدل على جواز المكان عليه لان العرض لا يصح الا على هذا الوجه. وجوابنا أنّهم لما عرضوا في الموضع الذي جعله الله تعالى مكانا للعرض صح ذلك.

ومعنى قوله تعالى من بعد ﴿ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَما كانُوا يُبْصِرُونَ﴾[4] انهم من حيث لم يقبلوا ولم ينتفعوا بما سمعوا ورأوا كانوا في حكم ما لا يسمع ولا يبصر ولو أراد الحقيقة لما ذمهم من قبل بقوله ﴿وَما كانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِياءَ يُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ﴾.

[المسألة السّادسة]

---

[1] سورة هُود، الآية .

[2] سورة هُود، الآية .

[3] سورة هُود، الآية .

[4] سورة هُود، الآية .

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾[1] أن ذلك على أنه تعالى يريد الضلال.

وجوابنا: أن مراد نوح –عليه السّلام– عند مخاطبة قومه بذلك انه ان كان تعالى يريد حرمانهم وخيبتهم من الفوز بالثّواب وانزال العقاب فنصحه لا ينفع وذلك احالة على المعلوم من حالهم أورده على وجه الزجر لهم.

[المسألة السّابعة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَنادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾[2] أليس في ذلك دلالة على انّه –تعالى– وعده تخليص ابنه مع القوم ثمّ لم يقع فكيف يصح ذلك.

وجوابنا أنّه –تعالى– قد كان وعد بنجاة أهله وأراد من آمن منهم وظنّ نوح أن ابنه منهم ولذلك قال تعالى بعده ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ﴾[3].

[المسألة الثّامنة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ﴾[4] ان ذلك يدل على أن الطاعات من فعل الله –تعالى–؟

وجوابنا: أنّ التّوفيق من فعل الله –تعالى– في الحقيقة وهو ما يفعله مما يدعو العبد إلى العبادة كخلق الولد والغنى وما شاكله فنحن نقول بالظّاهر والقوم لا يمكنهم ذلك إذ قالوا: إنّ الله –تعالى– يخلق أعمال العباد لأنّ خلقه ذلك ممّا يغني عن اللطف والتوفيق والمعونة والهداية فكان ذلك على مذهبهم يحب أن لا يصحّ.

---

[1] سورة هُود، الآية .

[2] سورة هُود، الآية .

[3] سورة هُود، الآية .

[4] سورة هُود، الآية .

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ﴾[1] أليس ذلك يدل على انقطاع العذاب من حيث وقته بدوام السموات والارض الذين يفنيان وأنتم تقولون بالخلود فكيف يصح ذلك؟

وجوابنا ان للنّار سماء وأرضا وكذلك الجنة ولا يفنيان فهذا هو المراد وقد قيل ان المراد بذلك تبعيد خروجهم فعلقه تعالى بما يبعد في العقول زواله على مذهب العرب في مثل قول الشّاعر:

اذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب

[المسألة العاشرة]

وربما قيل في قوله تعالى ﴿إِلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ﴾[2] ان ذلك الاستثناء يدل على انقطاع العقاب فكيف يصح ذلك مع قولكم بالخلود.

وجوابنا أن المراد أوقات الموقف للمحاسبة قبل دخول النار وعلى هذا الوجه ذكر الله تعالى في السعداء مثل ما ذكره في الأشقياء فقال ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ إِلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ﴾[3].

وقوله تعالى من بعد لرسوله صلّى الله عليه وسلم ﴿فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هؤُلاءِ﴾[4] على وجه الزجر لغيره على نحو ما قدمناه من قبل.

[المسألة الحادية عشر]

---

[1] سورة هُود، الآية .

[2] سورة هُود، الآية .

[3] سورة هُود، الآية .

[4] سورة هُود، الآية .

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمالَهُمْ﴾[1] كيف يصح أن يوفيهم نفس العمل.

وجوابنا: أنّ المراد جزاء العمل من ثواب وعقاب، وهو الذي يصحّ أن يفي به وعده.

[المسألة الثّانية عشر]

وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[2] كيف يصح ذلك وقد أبيح لنا مخالطتهم.

وجوابنا: أن المراد الركون اليهم فيما يتصل بالمدح والاعظام ويجري مجرى الموالاة ولم يرد ما يتصل بالمعاشرة.

ومعنى قوله من بعد ﴿إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾[3] ان التوبة تزيل عقاب المعاصي وكثرة الطاعات تكفر السيئات.

ومعنى قوله –تعالى–: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً﴾[4] بالالجاء والاكراه لكنه انما شاء منهم ذلك على وجه الاختيار لكي يفوزوا بالثواب.

[المسألة الثّالثة عشر]

وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[5] أليس ذلك يدل على أنه خلقهم للاختلاف الذي في جملته المعصية وذلك يدل على أنه تعالى مريد منهم ذلك؟

---

[1] سورة هُود، الآية .

[2] سورة هُود، الآية .

[3] سورة هُود، الآية .

[4] سورة هُود، الآية .

[5] سورة هُود، الآية .

وجوابنا أنّ المراد للرحمة خلقهم لانه قال ﴿إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[1] فلذلك راجع الى الرحمة لا الى الاختلاف والرحمة من الله تعالى لا تكون الا بارادته فكأنه قال ولكي يرحمهم خلقهم وهو أقرب مذكور اليه وقد ثبت بالدليل أن الاختلاف الباطل لا يريده الله تعالى بل يكرهه أشد كراهة فقد نهى وزجر عن فعله.

[المسألة الرّابعة عشر]

وربّما سألوا عن قوله تعالى ﴿ما مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها﴾[2] كيف يصح ذلك اذا لم يكن هو الخالق لتصرف الحيوان.

والجواب عنه: أن المراد أنه قادر على تصريفها كما يشاء والعرب تذكر ذلك على هذا المعنى فتقول ناصية فلان بيد فلان.

[المسألة الخامسة عشر]

وربّما سألوا في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ الْبُشْرى يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾[3]: كيف يجوز منه وهو نبي أن يجادل الملائكة في ذلك؟

وجوابنا أنّه جادل ليعرف ما لأجله استحقوا العذاب وهو أحد الوجوه التي يجادل المجادل لأجلها.

---

[1] سورة هُود، الآية .

[2] سورة هُود، الآية .

[3] سورة هُود، الآية .

سورة يوسف

سورة يوسف

أوّل ما نذكر في هذه السّورة أنّها مشتملة من آداب الأنبياء صلوات الله عليهم ومن آداب الاخلاق والتمسك بالصّبر والحلم وتوقع الفرج بعد حين والتشدد في الصّبر على المعاصي واحتمال المكاره على ما لو تأمله القارئ وتمسك بكلّه أو بعضه لعظم موقع ذلك في دينه ودنياه:

– فليتأمّل القارئ أوّلًا رؤيا يوسف للكواكب والشمس والقمر وان أباه صلّى الله عليهما وسلم كيف تقدم بكتمان ذلك عن اخوته والصبر في كتمان ذلك صعب فاحتمله تحرزا من حسدهم.

– وليتأمّل ثانيًا كيف جاد به على إخوته لئلا يستوحشوا وظن السلامة مع خوفه منهم عليه حتّى أقدموا على ما أقدموا.

– وليتأمّل ثالثًا أنّه بعد ظهور ذلك منهم كيف احتملهم ولم يجازهم على ما فعلوه بقطعهم واخراجهم عن محبته وعن النظر لهم.

– وليتأمّل رابعًا صورة يوسف فيما وقع اليه من امرأة العزيز وكيف تشدد في الاحتراز عنها واحتمل لذلك الحبس الطويل حتى كانت عاقبة صبره ما حصل من اعتراف الكلّ بصيانته ووصوله إلى الملك والبغية.

– وليتأمّل خامسًا ما دفع اليه اخوته في تلك السنين الصعبة من التردد الى يوسف يطلبون من جهته القوت واحتمالهم لما عاملهم به.

– وليتأمّل سادسًا كيف صبر عليهم وكيف احتمل في تخليص أخيه الى حضرته واحتباسه عنده على مهل، وقد كان يمكنه التّعجّل.

– وليتأمّل سابعًا كيف حسنت معاملته مع اخوته حين ظفر بهم وقد كانوا عاملوه من قبل بما عاملوه به.

– وليتأمّل ثامنًا كيف توصّل إلى إزالة الغمّة عن قلب أبيه وصبر إلى أن ظفر بالوقت الذي أمكنه فيه إحضاره عنده على أحسن الوجوه.

– وليتأمل تاسعًا كيف كان صبر يعقوب صلّى الله عليه وسلم في بابه وفي باب غيبة أخيه، وهو كالرّاجي لعودهما إليه واجتماعه معهما.

– وليتأمّل عاشرًا كيف قبل يوسف عذر إخوته، وقد اعتذروا إليه مع تلك الجنايات العظام، فكان جوابه: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ﴾[1].

– وليتأمل حادي عشر كيف قبل يعقوب أيضا عذرهم وزاد بان قال ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2].

إلى وجوه أخر تركنا ذكرها ثمّ أنّه –تعالى– قال في آخر السّورة لرسوله –صلّى الله عليه وسلّم– ولجماعة المكلفين ﴿ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[3]، فنبّه بذلك على وجوب التّمسّك بهذه الأخلاق والآداب.

وكذلك قال –تعالى– في أوّل السورة: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ لان النفع يعظم بذلك لمن تأمّله.

وهذا معنى قوله: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾[4]، لأنّ مَن تدبّر القرآن وتمسّك باحكامه وآدابه وأخلاقه انفتح قلبه للخيرات دينا ودنيا فإذا قرأه من غير تدبر يصير قلبه كأنّ عليه قفلًا لا يتغيّر عما هو عليه فهذه المقدّمة التي قدّمناها في هذه السّورة تنفع فيها وفي القرآن ثمّ نذكر ما فيها من المتشابه على طريقتنا في هذا الكتاب.

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى– لرسوله: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ﴾[5]: كيف يقول ذلك ولم يكن موصوفًا من قبل بذلك؟!

وجوابنا: أنّ المُراد من الغافلين عن هذه القصّة وما شاكلها، وإلّا فمعلوم من حاله – صلّى الله عليه وسلم– التّيقّظ لكلّ ما يتعلّق بالدّين.

---

[1] سورة يُوسف، الآية .

[2] سورة يُوسف، الآية .

[3] سورة يُوسف، الآية .

[4] سورة يُوسف، الآية .

[5] سورة يُوسف، الآية .

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل كيف قصّ يوسف رؤياه على يعقوب كأنّه مصدّق بها وكيف أمره أبوه بكتمان ذلك بقوله: ﴿لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ﴾[1]، كأنّه عالم بصدق الرؤية مع أنها قد تخطئ وتصيب، وكيف قال: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً﴾[2] فأخبر عن أمر مستقبل لا يعرفه.

وجوابنا: أن مثل ذلك قد يعمل فيه بالظنّ، فلا ينبغي أن لا يفعل إلّا اليقين ويحتمل أنّه عرف من إخوته من قبل ما يوجب أن يأمره بالكتمان وما يعلم عنده أنّهم لو وقفوا على هذه الرّؤيا لكادوا له ولو كان مثل ذلك لا يصحّ إلّا مع العلم لقلنا إنّه –تعالى– قد أوحى إليه إمّا جملة وإمّا مفصّلًا.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَكَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ﴾[3] أهو من قول يعقوب أو من قوله تعالى–، فان كان من قول يعقوب فكيف عرف ذلك.

وجوابنا: انه من قول يعقوب وقد كان الله أعلمه ذلك، يبين ما قلناه قوله أخيرا ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[4].

[المسألة الرّابعة]

فان قيل: فاذا عرف ذلك فكيف يجوز أن يغتم على ما ذكره الله –تعالى– في الكتاب ويخفى عليه حال يوسف.

---

[1] سورة يُوسف، الآية .

[2] سورة يُوسف، الآية .

[3] سورة يُوسف، الآية .

[4] سورة يُوسف، الآية .

وجوابنا: انه قد عرف ذلك من جهة الله تعالى على شرط أن يبقى ، فلذلك كان خائفا.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبانا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1]: كيف يجوز ذلك منهم وهم أنبياء أو مرشحون للنبوة؟

وجوابنا: أنّ محلّ الولد من أبيه أن ينزّله منزلة سائر أولاده، فلا يقبح قولهم إنّ أبانا لفي ضلال مبين، إذ مرادهم ذهابه عن انزالهم هذه المنزلة أيضا وبعد فلو قبح لكان ذلك قبل حال التّكليف على ما يدل عليه قوله –تعالى–: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾[2]، لأنّ هذا القول لا يليق الا بحال الصّبي وفقد كمال العقل.

وقولهم: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ﴾[3] انما صح أيضا لان الحال حال الصبا وفقد كمال العقل، فكذلك سائر ما فعلوه بيوسف لما أرسله يعقوب معهم.

[المسألة السّادسة]

(فان قيل): كيف كانت الحال حال الصبا وقد قال تعالى بعده ﴿وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[4].

وجوابنا انه يحتمل أن يكون بمنزلة قوله تعالى ﴿وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[5] ويكون بطريقة الالهام أو اظهار أمارة ويحتمل في هذا الايحاء أن يكون الى يعقوب لتقدم ذكر يعقوب.

---

[1] سورة يُوسف، الآية .

[2] سورة يُوسف، الآية .

[3] سورة يُوسف، الآية .

[4] سورة يُوسف، الآية .

[5] سورة يُوسف، الآية .

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل ما معنى قوله –تعالى–: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾[1]؟ وما معنى: ﴿وَجاؤُ عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[2]؟ فكيف يصح منهم الكذب ووصف الدم بالكذب؟

وجوابنا انه يحتمل في قولهم أكله الذئب انهم قالوه تعريضا لا خبرا على التحقيق ويحتمل أن يكونوا قد كذبوا لكنه وقع منهم في حال الصبا.

فاما قوله: ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[3] فمن أحسن ما يوجد في مجاز الكلام فانهم صوروه بخلاف صورته فصار كالكذب ويحتمل أن يكون المراد بدم واقع من كاذب على معنى قوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ كانَتْ ظالِمَةً﴾ أي أهلها وسكانها وقوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾ يدلّ على ما قلناه من أنّه كان ذلك في حال الصبا.

[المسألة الثّامنة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها﴾[4] أليس ذلك كان بعد البلوغ والنبوّة، فكيف يصحّ من الانبياء العزم على الزّنا؟

وجوابنا ان المراد بقوله: ﴿هَمَّتْ﴾[5] العزيمة منها وبقوله: ﴿وَهَمَّ﴾[6] الرّغبة والشّهوة وان كان شديدا في الانصراف عن ذلك وقد يقال هم فلان بكيت وكيت بمعنى اشتهى ويحتمل ما قيل انه هم بها لو لا أن رأى برهان ربه فنفاه عنه بشرط قد وجد ولذلك قال –تعالى–: ﴿كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ﴾[7].

---

[1] سورة يُوسف، الآية .

[2] سورة يُوسف، الآية .

[3] سورة يُوسف، الآية .

[4] سورة يُوسف، الآية .

[5] سورة يُوسف، الآية .

[6] سورة يُوسف، الآية .

[7] سورة يُوسف، الآية .

وقال بعد ذلك بآيات حاكيا عنها أنّها قالت: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[1].

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ وَإِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[2]، كيف يصحّ الحكم بمثل ذلك مع تجويز خلافه؟

وجوابنا انه لا يمنع في شريعة ذلك الزمان الحكم بمثل ذلك وقد يجوز مثل ذلك في شريعتنا أيضًا في أشياء كثيرة، كالحكم بالقافة عند بعضهم، وكإلحاق الولد بالفراش عند جميعهم وكرد للقطة بالعلامات عن بعضهم.

[المسألة العاشرة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَآتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[3] كيف يصح ذلك من جماعة العقلاء حتى يتفق منهن قطع اليد عند مشاهدته.

وجوابنا: ان حديث يوسف اذا كان قد تمكن في قلبهن لما سمعن من خبر امرأة العزيز وشدة كلفها به لم يمتنع وبين أيديهن فاكهة ومعهن ذلك السكين أن يخرجن في حال ارادتهن لقطع ذلك وأكله الى أن يقع منهن خطأ وليس في القرآن ان ذلك القطع كيف كان وفي أي موضع كان في اليد ولا في القرآن كم كان عدد النسوة ولا فيه ان ذلك وقع من جميعهن أو من أكثرهن ومثل ذلك لا يستنكر.

---

[1] سورة يُوسف، الآية .

[2] سورة يُوسف، الآية .

[3] سورة يُوسف، الآية .

[المسألة الحادية عشر]

وربّما قيل في قوله تعالى في جواب منام الفتيين كيف يصح أن يقطع بذلك فيقول: ﴿أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ﴾[1] ويقول: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ﴾[2] وذلك كلام قاطع بهذا الأمر.

وجوابنا انه يجوز أن يكون قاله من وحي ، فقد كانت الحال حال نبوّة ولو لم يثبت ذلك لجاز أن يحمل على وجه الظنّ على أن الخبر في ذلك كان يثبت لديه ، فالقرآن يدل على ان نفس يعقوب ونفس ابراهيم صلّى الله عليهما وسلم كانوا قد أوتوا المعرفة بتأويل الرؤيا وقد قيل في الخبر أنهما قالا بعد اظهارهما ما رأياه أنهما كذبا ، فقال يوسف ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وذلك لا يكون إلا عن وحي.

[المسألة الثّانية عشر]

وربّما قيل: كيف يصح وهو في السجن أن يظهر أن آباءه ابراهيم واسحاق ويعقوب ولا يظهر ذلك في القوم وكيف يصح ممن نجا منهما أن لا يذكر يوسف الا بعد زمان والا بعد رؤيا الملك أو ليس كل ذلك نقيض العادات.

وجوابنا: أنّ يوسف –عليه السّلام– كان في صورة العبد الرّقيق لذلك الملك وكان يخاف أن يظهر من كلامه ما يدل على خلاف ذلك خاصة فيمن كان خادما لذلك الملك وراجيا لان يعود الى الخدمة فلذلك أخفى نسبه.

فأمّا النّسيان، فقد يصحّ في مثل ذلك اذا قل الحرص في مثله، فلذلك قال –تعالى–: ﴿فَأَنْساهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾[3]، وقال: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[4].

ثمّ ما كان من جوابه لرؤيا الملك وموافقة الصدق في ذلك ، يدل على نبوّته.

---

[1] سورة يُوسف، الآية .

[2] سورة يُوسف، الآية .

[3] سورة يُوسف، الآية .

[4] سورة يُوسف، الآية .

[المسألة الثّالثة عشر]

وربّما قيل أن يوسف لما أجاب في رؤيا الملك ﴿قالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾[1] ولم يذكر له جواب الرؤيا ، كيف يصح ذلك؟

وجوابنا أنّه في هذه السّورة قد ذكر –تعالى– أشياء حذف جزء منها اختصارا ولدلالة الكلام عليه وذلك يحسن.

[المسألة الرّابعة عشر]

وربّما قيل: كيف يجوز وقد أمر الملك أن يخلص من السجن ان يختار أن يبقى فيه ويقول ﴿ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[2] وقد كان يمكنه ان يخرج ثمّ يفتش عند ذلك.

وجوابنا: أنه رأى وقد أحب الملك حضوره عنده أن التفتيش عن ذلك يكون أقوى وموقعه أحسن فأوهم أنه لا يخرج من السجن إلا وقد ظهرت براءة ساحته كالشمس فلذلك قال ما قال فلما قلن ما قلن من قولهن: ﴿حاشَ لِلَّهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾[3] أيقن بظهور أمره فيما كان اتّهم به فعند ذلك خرج الى حضرة الملك؟

[المسألة الخامسة عشر]

---

[1] سورة يُوسف، الآية .

[2] سورة يُوسف، الآية .

[3] سورة يُوسف، الآية .

وربّما قيل: كيف جاز من يوسف ان يمدح نفسه فيقول ﴿اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[1] ومدح النّفس مكروه ومنهيّ عنه بقول الله تعالى ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾[2]؟ وكيف يجوز للنبي أن يتولّى من قبل الكفّار؟

وجوابنا: أنّ مدح النّفس عند الحاجة إليه يحسن، فلا يكون المراد المدح بل يكون المراد ذلك الوجه الذي يقع به النفع وعلى هذا الوجه قال –صلّى الله عليه وسلم–: «أنا سيّد ولد آدم ولا فخر» فنبه بقوله ولا فخر على أن مراده ليس مدح النفس فيوسف – صلّى الله عليه وسلّم– أظهر ذلك لما كان في توليته الخزائن من المصلحة خصوصا في تلك السنين الشديدة.

فاما تولي ذلك من جهة الكفّار فانّه يحسن اذا لم يمنع الشرع منه فان كان ذلك الملك كافرا فذاك حسن وان كان مؤمنا فلا سؤال.

[المسألة السّادسة عشر]

وربّما قيل: كيف يجوز في اخوته وهم جماعة ان لا يعرفوا يوسف كما قال تعالى ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾[3] وذلك بخلاف العادة في الجماعة.

وجوابنا أن القوم فقدوا يوسف وهو في سن الصبي فتغير وجهه وقد كان لباسه أيضا من قبل بخلاف لباسه وقد صار له الملك وكذلك سائر أحواله وكان القوم يتهيّبونه عند المخاطبة لشدة الحاجة اليه وكلّ ذلك مما يجوز أن لا يعرفه القوم فيجوز أن حالته في معرفته لهم بخلاف حالهم لتمكنه من الامور وفراغ قلبه لتأملهم.

[المسألة السّابعة عشر]

---

[1] سورة يُوسف، الآية .

[2] سورة يُوسف، الآية .

[3] سورة يُوسف، الآية .

وربّما قيل: كيف يجوز مع المجاعة الشّديدة أن لا يكيل لهم مع الحاجة حتّى يأتوا بأخيه، ومثل ذلك لا يحلّ؟

وجوابنا: أنه عرف أن الحاجة ليست في ذلك الوقت وكان له بغية في حضور أخيه، وأنّه سينتهي ذلك إلى حضور أبويه أيضًا، فلذلك فعل.

[المسألة الثّامنة عشر]

وربّما قيل: كيف يجوز أن يخفى خبره عليهم المدة الطويلة مع قرب المسافة بين مصر وبين البدو الذي كانوا فيه حتى يجري الأمر على ما ذكره الله عز وجل في كتابه.

وجوابنا: أن إخوة يوسف لما أقدموا على ما فعلوه في أمر يوسف وجملة جماعة من السيارة وقد اشتروه بثمن بخس ظنوا فيه خلاف ما ظهر فقلّ تفتيشهم عنه ولما حمل واشتراه ذلك العزيز لامرأته واتّخذاه كالولد كان كالمكتوم عن الناس مع حسن صورته ومثله ربما يخشى ظهوره ثمّ أقام محبوسا ما أقام وتردد في المجلس فعمي أمره وقد طالت المدة فلذلك ولأمثاله خفي خبره على أبيه وإخوته.

فأمّا خبرهم فلم يخف عليه لأنّ الذي عامل به اخوته يدل على أنه كان بذلك عارفا وكان يتلطف في تحصيل أخيه ثمّ أبيه بالوجوه التي أباحها الله تعالى ومثل هذا السبب قد يخفى عنده الخبر فلذلك خفي على يعقوب وعلى اخوته خبره.

[المسألة التّاسعة عشر]

(فإن قيل):كيف يجوز مع شدة محبة يعقوب أن لا يفتش عن خبره وقد كان قال لهم ما يدل على أنه اتهمهم في أن الذئب أكله.

وجوابنا: أن يعقوب ما كان يعرف الاخبار الا من جهة أولاده لأن سائر الناس كان يقبض عنهم وأولاده كانوا لا يفتشون عن ذلك لأن سبب الجناية كان منهم وظنوا أنه مفقود في الحقيقة ولأن شدة حزنه وما لقي من المحن في تلك السنين كان يشغل عن مثله.

[المسألة العشرون]

(فإن قيل:) كيف يجوز من يعقوب وهو نبي ان يحزن كل ذلك الحزن على يوسف أو ليس ذلك يصرف عن أمور الآخرة.

قيل له: قد أبيح للوالد محبة الولد والسرور بأحواله خصوصا اذا كان الولد على مثل صفات يوسف أو ما يقاربها ويحتمل أيضا أنه كان اشتدّ حزنه لانّه ظن أنه قصّر في حفظه وأنه فرّط في أن سلمه من اخوته فتضاعف حزنه لذلك أيضا.

[المسألة الحادية والعشرون]

فإن قيل: له كيف جاز أن يقول يوسف وقد جعل السقاية في رحل أخيه إنهم لسارقون، وهذا في الظّاهر كذب؟

وجوابنا: أن جعل السقاية في رحل أخيه يجوز أن يكون من قبله بأمره فأما ما قاله المؤذن من أنهم سارقون فهو من قبل المؤذن لا من قبل يوسف.

[المسألة الثّانية والعشرون]

فإن قيل: فكيف قال ﴿فَما جَزاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ قالُوا جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ﴾[1].

وجوابنا: أنّ كلّ ذلك ليس من قول يوسف فأما تملك السارق فقد كان بين ذلك الملك ويجوز ان يكون في بعض شرائع الانبياء فلذلك قالوا فهو جزاؤه.

[المسألة الثّالثة والعشرون]

[1] سورة يُوسف، الآية .

فإن قيل: وكيف قال –تعالى–: ﴿كَذلِكَ كِدْنا لِيُوسُفَ ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾[1] وأخذه على هذا الوجه معصية لا يجوز أن يشاءه الله، فكيف يصحّ ذلك؟

وجوابنا: أنّ المراد مشيئة حصوله هناك حتى يصح أخذه لأنّ كل ذلك مما يجوز أن يشاءه الله ولذلك قال بعده ﴿نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ﴾[2].

[المسألة الرّابعة والعشرون]

فإن قيل: كيف يصح أن يقول يعقوب صلّى الله عليه وسلم ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾[3] فيضيف اليهم التنفيذ والذم له وكيف جاز أن يقولوا له ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾[4] فينسبون الضلال اليه.

وجوابنا: أنّه لا يمتنع أن يجد ريح يوسف وأمارات حياته وأن يكون الله –تعالى– قوي ذلك لما أراده من اجتماعهم.

وأمّا الضّلال في اللّغة، فهو الذّهاب عن الشيء الذي فيه نفع فأرادوا بقولهم إنك لفي ضلالك القديم انك تجري على عادتك في العدول عما ينفعك ومثل ذلك قد يجوز أن يقال للانبياء فيما يتعلق بأمور الدنيا.

[المسألة الخامسة والعشرون]

فإن قيل: كيف يعود بصيرا بالقاء القميص اليه؟

قيل له: أنه نبي وفي أيام الانبياء قد يصح ظهور ما يخرج عن العادة فان لم يكن من معجزات يعقوب فهو من معجزات يوسف فلا سؤال في ذلك.

---

[1] سورة يُوسف، الآية .

[2] سورة يُوسف، الآية .

[3] سورة يُوسف، الآية .

[4] سورة يُوسف، الآية .

واختلفوا، فقال بعضهم: كان بصره قد ضعف، لا أنّه قد زال ومثل ذلك كالمعتاد اذا كان المرء شديد الخوف ثمّ يعود له الفرج والسّرور، فتعود قوة بصره.

ومنهم مَن قال: بل كان بصره قد زال على ما يدلّ الظّاهر عليه، فيكون الجواب ما تقدّم.

[المسألة السّادسة والعشرون]

فان قيل: كيف قال وقد عاد بصره ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾[1]؟ أو ليس ذلك يدل على أنه كان عالما بحياة يوسف؟

وجوابنا: انّه لا يمتنع أن يكون عالما بذلك من جهة الوحي ولا يمتنع أن يكون ظانا لذلك لعلامات وأمارات واذا علم فقد يجوز أن يكون عالما بشرط لا يحل معه القطع ويجوز خلافه وأحواله كانت تدل على أنه لم يكن قاطعا على موته ولا يمتنع أن يكون قد أوحي اليه بما يدل على عوده اليه آخرا.

[المسألة السّابعة والعشرون]

فان قيل: كيف يجوز أن يقولوا ﴿يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا﴾[2] وهذا كلام معتذر تائب فيكون جوابه ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾[3] فلم يقبل عذرهم في الحال وذلك لا يجوز على الانبياء.

وجوابنا أنه قبل عذرهم في الوقت وانما وعدهم باستغفار مستقبل يقتضي استدعاء حصول المغفرة من قبل الله تعالى فاراد الدعاء لله تعالى وذلك مما لا يجب في الوقت وانما الذي يلزم في الحال قبول العذر فقط كما قال يوسف –عليه السّلام–: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾[4] ويحتمل أنه –عليه السّلام– لم يعرف أن مقصدهم بقولهم: ﴿اسْتَغْفِرْ

---

[1] سورة يُوسف، الآية .

[2] سورة يُوسف، الآية .

[3] سورة يُوسف، الآية .

[4] سورة يُوسف، الآية .

لَنا﴾[1] الاعتذار الخالص وان كانوا قد تابوا من قبل فقال سوف استغفر لكم ربي اذا عرفت منكم الاخلاص.

[المسألة الثّامنة والعشرون]

فان قيل: كيف قالوا وقد دخلوا عليه أنك لأنت يوسف وقد ترددوا عليه حالا بعد حال حتى قال ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهذا أَخِي﴾[2]؟ وكيف يخفى عليهم حديث أخيهم خاصّة؟ وكيف قال لهم: ﴿إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ﴾[3]، وكانوا أنبياء؟

وجوابنا: ما تقدّم من أنّ حال يوسف كان قد تغير في صورته وفي محله وكانوا لا يتأملون تأمل متعرف فلذلك خفى عليهم فأمّا أخوه فكانوا يعرفونه، ولم يقل يوسف: ﴿وَهذا أَخِي﴾[4]، لأنّهم لم يعرفوه، لكنّه أراد اظهار نعمة الله عليه باجتماع أخيه معه. ولذلك قال: ﴿قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[5].

فأمّا قوله: ﴿إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ﴾[6]، فالمُراد به: أيّام الصّبا.

وقد يُقال لمَن لا يعرف الأمور أنّه جاهل لا على طريق الذمّ.

[المسألة التّاسعة والعشرون]

فإن قيل: فما معنى قوله، وقد آوى اليه أبويه ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾[7]، وكانوا قد دخلوا؟

---

[1] سورة يُوسف، الآية .

[2] سورة يُوسف، الآية .

[3] سورة يُوسف، الآية .

[4] سورة يُوسف، الآية .

[5] سورة يُوسف، الآية .

[6] سورة يُوسف، الآية .

[7] سورة يُوسف، الآية .

وجوابنا: أنّهما التقيا به خارج مصر، فقال ما قال وذلك صحيح وهذا كما يستقبل المرء من يعظمه خارج البلد وأراد بذلك تعريفهم انهم تخلصوا مما كانوا عليه من المحق والمجاعة في ذلك البدو.

[المسألة الثّلاثون]

فان قيل: فما معنى ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾[1]؟ وكيف يسجدون له، وذلك من العبادات التي لا تليق إلّا بالله –تعالى–؟

وجوابنا: ان رفعه لهما على العرش كان على وجه الاعظام وايصال السرور اليهما برفعهما على السرير المرتفع.

فاما السجود فقد يحسن شكرا لله اذا وصل المرء الى نعم عظيمة فيجوز أن يكون سجودهما له على هذا الوجه وأضيف السجود اليه لما كان سبب ذلك كما يضاف السجود الى القبلة على قريب من هذه الطريقة.

ويحتمل في السجود أن يكون وقع منهما على وجه الاعظام له فان ذلك يحسن على بعض الوجوه.

وقد قيل: أنّ الله –تعالى– ذكر السّجود وأراد الخضوع بضرب من الميل إلى الأرض أقرب إلى الظّاهر بين ذلك قوله –تعالى–: ﴿وَقالَ يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾[2] ودلّ بقوله ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾[3] على انّه قد زال عن قلبه ما عملوه به، فأضافه إلى الشّيطان تحقيقًا لذلك.

ودلّ بقوله وقد جعله الله نبيّا: ﴿أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ﴾[4] بعد التحية وقوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[5] على وجوب الانقطاع إلى الله –تعالى– والخضوع

---

[1] سورة يُوسف، الآية .

[2] سورة يُوسف، الآية .

[3] سورة يُوسف، الآية .

[4] سورة يُوسف، الآية .

[5] سورة يُوسف، الآية .

له في المسألة مع العلم بالغفران فمنّ الله –تعالى– على نبيّنا –صلّى الله عليه وسلّم– بقوله: ﴿ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾[1] لان في قصة يوسف من العجائب والعبر ما يوجب الشّكر ودل بقوله ﴿وَما أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[2] على ان من يؤمن من النّاس قليل من كثير وان كان الانبياء يحرصون على ايمانهم.

ودلّ بقوله: ﴿وَما تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾[3] على ان دعاء الغير الى الايمان لا يكاد يؤثر الا مع رفع الطمع.

ودلّ –تعالى– بقوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ﴾[4] على أنّ الواجب على العاقل التّفكّر في الآيات اذا شاهدها وأنّ ذلك من أعظم ما يأتيه المرء وكذلك قال بعده: ﴿وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[5] ثمّ بين ما يلحقهم إذا أعرضوا عن الآيات من العقاب، فقال: ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾[6]، فنبّه بذلك على وجوب الحذر من قرب السّاعة وقرب الأجل ثمّ أمر نبيّه –صلّى الله عليه وسلّم– بأن يقول: ﴿هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[7].

ودلّ بذلك على انّ هذا الدّعاء كما يلزم الرسول يلزم من اتبعه من أهل المعرفة واليقين.

ودلّ بقوله: ﴿وَسُبْحانَ اللهِ وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[8] على وجوب تنزيه الله –تعالى– ممّن يدعو الى الدين عمّا لا يليق به وقوي من نفسه –صلّى الله عليه وسلم– من بعد

---

[1] سورة يُوسف، الآية .
[2] سورة يُوسف، الآية .
[3] سورة يُوسف، الآية .
[4] سورة يُوسف، الآية .
[5] سورة يُوسف، الآية .
[6] سورة يُوسف، الآية .
[7] سورة يُوسف، الآية .
[8] سورة يُوسف، الآية .

بقوله: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا﴾[1] وبين ما في قصص الأنبياء من النّفع في الدّين، فقال: ﴿لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ﴾[2].

وهذا أحد ما يدلّ على انّ الواجب أن يقرأ القرآن بتدبّر، حتّى ينتفع المرء بذلك.

---

[1] سورة يُوسِف، الآية .

[2] سورة يُوسِف، الآية .

سورة الرَّعْد

سورة الرعد

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى– ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾[1]: كيف يصحّ أن يرفعها بعمد ونحن لا نراها؟

وجوابنا: أنّ المُراد أنّه يرفعها ويمسكها لا بعمد أصلا ودلّ بذلك على قدرته لان أحدنا لا يصحّ أن يرفع الثقيل إلّا بعمد.

وعلى هذا الوجه قال: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا﴾ وذلك من عظم نعم الله –تعالى– فلولا ذلك لم يصح التصرف على الارض ولا أن يدور الفلك والشّمس والقمر والنّجوم.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل: ما معنى قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ﴾[2]، إذ لم يجز عليه المكان؟

وجوابنا: أنّ المراد الاستيلاء والاقتدار وذكر ثمّ في الاستواء والاقتدار وأراد ما بعد من تسخيره الشّمس والقمر لان اقتداره ليس بحادث ولا متجدد، فكأنّه قال ثمّ ﴿سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾[3] وهو مستول على ذلك مقتدر ثمّ يدبّر الأمور التي قدر آجالها.

[المسألة الثّالثة]

---

[1] سورة الرَّعْد، الآية .

[2] سورة الرَّعْد، الآية .

[3] سورة الرَّعْد، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[1] ما الفائدة في قوله اثنين وقد عقل ذلك مما تقدم.

وجوابنا: انه تأكيد يفيد فائدة زائدة لأن الزوجين قد يراد بهما أربعة فبين بقوله اثنين المراد وهو خلقه من كلّ شيء الذكر والانثى وما يجري مجراه وفي قوله: ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾[2] دلالة على نعمه وان الواجب التفكر فيها ليستدلّ بها على قدرته وليعرف ما يلزم من شكره وعبادته وجعل جل وعز ذلك مبطلا لقول من أنكر الاعادة فلذلك قال: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذا كُنَّا تُراباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[3].

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل: ما فائدة قوله –تعالى–: ﴿وَأُولئِكَ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ﴾[4] وانّما يحسن ذلك منا لانا لا نقدر على التعذيب والمنع الا بالآلات.

وجوابنا: أنّه –تعالى– يزجر المكلّف عن المعاصي بما جرت العادة أن يعظم خوفه لأجله، كما يرغب في الطّاعة بما جرت العادة به من الملاذ والمناظر، وإلّا فهو قادر على أن يؤلم المعاقب بغير هذه الأمور.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ﴾[5] أما يدل ذلك على ان كل شيء مخلوق من جهته.

---

[1] سورة الرَّعْد، الآية .

[2] سورة الرَّعْد، الآية .

[3] سورة الرَّعْد، الآية .

[4] سورة الرَّعْد، الآية .

[5] سورة الرَّعْد، الآية .

وجوابنا انه –تعالى– ذكر ذلك بقوله: ﴿اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثى وَما تَغِيضُ الْأَرْحامُ وَما تَزْدادُ﴾[1] فبيّن بعده ان كل شيء عنده بمقدار لانه عالم بكل ذلك وقد يقال عنده ويراد به في علمه كما يقال ذلك ويراد القدرة ويراد الفعل ولذلك قال بعده: ﴿سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾[2].

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾[3] أليس ذلك يدل على انه الفاعل لهذه التغيرات.

وجوابنا: انه أضافها اليهم كما أضافها الى نفسه والمراد انهم اذا غيروا طريقتهم في الشكر والطاعة غير الله تعالى أحوالهم بالمحن وغيرها زجر بذلك المكلف عن المعاصي.

[المسألة السّابعة]

فان قيل: فقال بعده: ﴿وَإِذا أَرادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ﴾[4] وذلك يدل على ان السوء من عنده.

وجوابنا ان المراد المحن والشّدائد وتوصف بالسوء مجازا وليس في الآية انه يفعل ذلك وانما فيها انه اذا أراده لا مرد له لان ما يريده الله تعالى يكون أبدا بالوجود أولى اذا كان ذلك المراد من فعله.

فأمّا اذا أراد من عباده الطاعات فانما يريدها على وجه اختيار وقد يجوز أن لا تقع لسوء اختيار المكلف.

[المسألة الثّامنة]

---

[1] سورة الرَّعْد، الآية .

[2] سورة الرَّعْد، الآية .

[3] سورة الرَّعْد، الآية .

[4] سورة الرَّعْد، الآية .

ومتى قيل فما معنى قوله –تعالى–: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾[1]؟ وكيف يصح التّسبيح من الرّعد؟

وجوابنا ان المراد دلالة الرّعد وتلك الاصوات الهائلة على قدرته وعلى تنزيهه وذلك كقوله –تعالى–: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾[2] لدلالة الكلّ على أنّه منزّه عمّا لا يليق، ولذلك قال: ﴿وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾[3]، ففضل بين الأمريْن.

وقوله بعد: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾[4]، معناه: يخضع فالمكلّف العارف بالله يخضع طوعا وغيره يخضع كرها لانا نعلم ان نفس السجود لا يقع من كلّ واحد.

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُماتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[5] ألا يدلّ ذلك على انه الفاعل لكل شيء وعلى ان العبد لا يفعل والاّ كان يتشابه فعله بفعل الله؟

وجوابنا ان قوله –تعالى–: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ﴾[6] زجر للعاصي والكافر بان شبهه بالأعمى وترغيب للمؤمن بأن شبّهه بالبصير ونبه بقوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ﴾[7] على ان عبّاد الاصنام بمنزلة العميان في عبادتهم لها مع انها لا تنفع ولا تضر

---

[1] سورة الرَّعْد، الآية .
[2] سورة الرَّعْد، الآية .
[3] سورة الرَّعْد، الآية .
[4] سورة الرَّعْد، الآية .
[5] سورة الرَّعْد، الآية .
[6] سورة الرَّعْد، الآية .
[7] سورة الرَّعْد، الآية .

فهو معنى قوله: ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾[1] ثمّ بين انه الخالق للنعم التي يستوجب عندها العبادة فلا تليق العبادة الا به ولا مدخل لافعال العباد في ذلك.

وقد بيّنا من قيل وجوها في ان قوله –تعالى–: ﴿خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2] لا يدلّ الاّ على انّ المقدر من هذه الاجسام والنعم من قبله، فلا وجه لا يراد ذلك.

وبيّن –تعالى– ما أراده بقوله من بعد: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها﴾[3]، فدلّ بذلك على مراده. وقال بعده: ﴿كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْباطِلَ﴾[4] ثمّ قال بعده: ﴿كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثالَ لِلَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾[5] بأن عصوا وخالفوا. ثمّ قال: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمى إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾[6].

وبيّن صفة ذوي الالباب، فقال: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[7].

فانظر –أيّها القارئ– لكتاب الله كيف صفة من ينال الحسنى ويفوز بثوابها وكيف صفة ذلك الثّواب العظيم فانّه –جلّ جلاله– لم يقتصر على أن لهم الجنة حتّى بيّن أنّ مَن صلح من الأقربين يحصل معهم هناك ممّن كلّف ويحصل معهم من لم يكلّف أيضًا من الذرّية، وأنّ الله –تعالى– يأمر ملائكته بالدّخول عليهم في كلّ وقت بالسّلام والتّحيّة ويعرّفونهم أنّ كلّ ذلك جزاء لهم على ما صبروا، فإنّهم صبروا قليلًا، فدام لهم ذلك الملك

---

[1] سورة الرَّعْد، الآية .
[2] سورة الرَّعْد، الآية .
[3] سورة الرَّعْد، الآية .
[4] سورة الرَّعْد، الآية .
[5] سورة الرَّعْد، الآية .
[6] سورة الرَّعْد، الآية .
[7] سورة الرَّعْد، الآية .

والنّعيم، فهو معنى قوله: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[1]، لأنّها دائمة على عظم نعمها وخلوصها من كلّ شائبة ثمّ انه –تعالى– ذكر خلاف ذلك فيمن خالف ربه وعصى، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[2] فالملائكة تلعنهم حالًا بعد حال عن أنفسهم وعن ربهم ولهم سوء الدّار وهو النّار الدّائمة التي عقابها خالص عن كل روح وراحة.

وقد حكى بعض الأئمّة أنّه سئل عن وصف المؤمن، فتلا هذه الآية ولو أردنا أن نفسرها لطال الكتاب، فإنّ قوله: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ﴾[3] يدخل فيه القيام بسائر الواجبات التي عهدها الينا والقيام بكل الامانات والوفاء بكل العقود وكذلك كلّ فضل منه.

ثمّ بيّن –تعالى– (أنّه): ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا﴾[4] يعني أهل النار ثمّ قال: ﴿وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ مَتاعٌ﴾[5] وقوله بعد ذلك: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ﴾[6] يدلّ على أن المراد بالهداية ما نقول من الاثابة وغيرها.

[المسألة العاشرة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ﴾[7] أليس ذلك مخالفا لقوله في المؤمنين حيث قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[8]؟

وجوابنا أنّ الطّمأنينة المذكورة هاهنا المُراد بها: المعرفة وسكون النّفس الى المجازاة مع الوجل والخوف من المعاصي فالكلام متّفق، لأنّ المؤمن ساكن النّفس إلى

---

[1] سورة الرَّعْد، الآية .
[2] سورة الرَّعْد، الآية .
[3] سورة الرَّعْد، الآية .
[4] سورة الرَّعْد، الآية .
[5] سورة الرَّعْد، الآية .
[6] سورة الرَّعْد، الآية .
[7] سورة الرَّعْد، الآية .
[8] سورة الرَّعْد، الآية .

معرفة الله –تعالى– والى المجازات على الطاعات ومع ذلك خائف مما يخشاه من التّقصير ووجل القلب، فظنّ في مثل ذلك أنّه مختلف، إذ قد نادى على نفسه بقلّة المعرفة ولذلك قال –تعالى– بعده ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ طُوبى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[1] وبيّن –تعالى– عظم شأن القرآن بقوله من بعد: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى﴾[2].

وجواب ذلك محذوف والمُراد، لكان هذا القرآن وذلك يدلّ على أنّه في الفصاحة قد بلغ نهاية الرّتبة، وأنّه صار معجزًا لذلك.

[المسألة الحادية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾[3] أليس يدلّ ذلك على أنه الفاعل لكلّ شيء؟

وقوله من بعد: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾[4]، أليس ذلك يدلّ على أنّه لم يشأ من جميعهم الايمان وإلّا لهداهم؟

وجوابنا: أنّ المُراد به أنّه هدى بعض النّاس دون من لم يجعله بصفة المكلف ويحتمل أن يكون المُراد لهداهم بالالجاء حتّى يجتمعوا على الايمان.

وقوله: ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً﴾[5] صحيح، لأنّ المُراد: اقتداره على كلّ شيء، وأنّ ما يريده لا يصحّ فيه المنع.

وقوله –تعالى– من بعد ﴿إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ﴾[6] يدلّ على أنّ وعده ووعيده لا يقع فيهما خلف.

---

[1] سورة الرَّعْد، الآية .

[2] سورة الرَّعْد، الآية .

[3] سورة الرَّعْد، الآية .

[4] سورة الرَّعْد، الآية .

[5] سورة الرَّعْد، الآية .

[6] سورة الرَّعْد، الآية .

[المسألة الثّانية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ﴾[1]: أليس ذلك يدلّ على أن الله يصد الكافرين عن طريق الخير ويفعل الإضلال، وذلك لا يجوز؟

وجوابنا: أنّ ذلك يدلّ على أن هذا التزيين من الشيطان ومن أنفسهم ولو لا ذلك لوجب أن يكون –تعالى– صادًّا لهم عن السّبيل مع علمنا بأنّ ذلك لا يجوز عليه وأنما أراد بقوله: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ﴾[2]، أي بالعقوبة على ما فعله، فما له من هاد إلى الجنّة ولذ:لك قال ﴿لَهُمْ عَذابٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَلَعَذابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾[3].

[المسألة الثّالثة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أُكُلُها دائِمٌ﴾[4]، أليس فيه الدلالة على أن الجنة مخلوقة الآن وذلك بخلاف ما تقولون؟

وجوابنا: أنّ جنّة الخلد والثواب ليست بمخلوقه الآن، وذلك بخلاف ما تقولون. وجوابنا أنّ جنة الخلد والثّواب ليست بمخلوقة الآن، لفنيت إذا أفنى الله –تعالى– العالم فكان لا يكون أكلها دائمًا، فدلّ ذلك على أنه تعالى يخلقها في الآخرة فيدوم أكلها.

[المسألة الرّابعة عشر]

---

[1] سورة الرَّعْد، الآية .

[2] سورة الرَّعْد، الآية .

[3] سورة الرَّعْد، الآية .

[4] سورة الرَّعْد، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ﴾[1] أما يدلّ ذلك على جواز البدء على الله –تعالى–.

وجوابنا: أنّ المُراد بذلك أنّه –جلّ جلاله– يمحو عن المؤمن الصّغائر، لأنّها مغفورة، ويحتمل أنّه المنسوخ والنّاسخ، ويحتمل أنّه يمحو ما لا مدخل له في الثّواب والعقاب ويثبت ماله مدخل في ذلك، ويحتمل أنّه يمحوا ما كتب من آجال وأرزاق من مضى ويثبت ذلك فيمن يبقى ويحدث.

[المسألة الخامسة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾[2]: كيف يصحّ المكر على الله إذ بين أنه من صفات الذمّ؟

وجوابنا: أنّ المُراد: إنزاله بهم العقاب وما شاكله من حيث لا يعرفون، كما ذكرنا في سورة البقرة في قوله: ﴿يُخادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[3] وما شاكله.

[المسألة السّادسة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾[4]، فيقولون: كيف يصحّ ذلك؟

وجوابنا: أنّ حفظهم وان لم يقع من الامر فانه يقع عند تقدم الامر فالمراد يحفظونه عن أمر الله وقد يذكر الأمر ويراد به التّقوية والتمكين فلمّا كانوا يحفظونه بأن يمكنهم ويقوّيهم جاز ذلك.

---

[1] سورة الرَّعْد، الآية .

[2] سورة الرَّعْد، الآية .

[3] سورة الرَّعْد، الآية .

[4] سورة الرَّعْد، الآية .

سورة إبراهيم

سورة إبراهيم

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿الر كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾[1]: كيف يفعل الرسول ذلك؟

والجواب: أنّ المراد يدعوهم الى العدول إلى الإيمان عن الكفر ويبين لهم ذلك، فوصف بأنّه يخرج لما كان يفعل السّبب الدّاعي إلى ذلك ولذلك قال: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾[2] إذا المُراد ان ذلك بأمره ووحيه وهذا أحد ما يدلّ على الايمان وما عدلوا عنه من الكفر فعلهم، فيكون بيانه سببًا لاختيارهم العدول عن الكفر إلى الايمان.

وقوله –تعالى–: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ﴾[3] يدلّ على أنّ ما يقع منهم من جهتهم، لأنّه لو كان خلقًا لله فيهم لما صح أن يستحبوا شيئا على شيء.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾[4]: أما يدل ذلك على أنّه بعد البيان هو الذي يضلّ ويهدي؟

وجوابنا: أنّ المُراد أنّه يضلّ عن طريق الجنّة إلى النّار ويهدي إلى الجنّة من أزاح علته ببيان الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– لكي تكون الحجّة لله عليهم، وهو كقوله: ﴿وَما

---

[1] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

[2] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

[3] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

[4] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[1]، وقوله: ﴿وَقالَ مُوسى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[2] يدلّ على أنه يكلّف النّاس لينفعهم ولحاجتهم الى ذلك، وأنّه غني عن كلّ شيء.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ﴾[3]: أليس ذلك يتناقض بأن يقول آخرًا لا يعلمهم الاّ الله ويقول أوّلاً: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[4]؟

وجوابنا أن المراد بآخره هو قوله: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ﴾[5] وأتاهم خبرهم على الجملة دون التّفصيل فالكلام مستقيم ويحتمل أن يريد أنّه أتاهم نبأ هؤلاء على الجملة ويريد بقوله: ﴿لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ﴾[6] التّفصيل من أحوالهم فلذلك قال بعده: ﴿جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْواهِهِمْ﴾[7].

وقد ذكرنا من قبل أن ذلك ذم لهم وهو كناية عن ترك القبول منهم لان هناك استعمالا لليد في رد قولهم وبيانهم ولذلك قال ﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾[8] فبين أن مراده تعالى بتكليفهم هذا الغفران.

[المسألة الرّابعة]

---

[1] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[2] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[3] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[4] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[5] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[6] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[7] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[8] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾[1]، فأضافوا إيمانهم إلى الله –تعالى–.

وجوابنا: أنّ المُراد بذلك الإرسال والنّبوّة، لأنّ قومهم قالوا أنّهم بشر مثلنا، فأجابوهم بقولهم: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾[2]، وأرادوا النّبوّة إظهار المعجزات هذا، ونحن نضيف الإيمان أيضًا الى الله –تعالى–.

ونقول انّه من نعمه لمّا كان الوصول إليه بيسره وألطافه مع التّمكين، وكذلك نقول في الطّاعات إنّها من الله، ولا نقول ذلك في المعاصي، وقد نهى عنها وزجر عن فعلها.

ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿وَما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَما لَنا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلَنا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا﴾[3].

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل: كيف ذكر أوّلًا –جلّ وعزّ– قولهم: ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[4] ثمّ كرره ثانيا ما الفائدة في ذلك؟

وجوابنا أنّهم في الأوّل قالوا: ﴿وَما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[5]، وأرادوا فيما يتّصل بالنبوّة؛ ثمّ قال ثانيًا: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[6]، وأرادوا في صبرهم على ما يعرض في النبوّة، فأحد الامرين غير الآخر.

[المسألة السّادسة]

---

[1] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

[2] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

[3] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

[4] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

[5] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

[6] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

وربّما قيل كيف قال –تعالى–: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَما هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[1]؟ أليس ذلك يتناقض؟

وجوابنا ان ذلك كناية عن شدة عذابهم وان لم يكونوا أمواتا وهو كقوله: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى﴾[2] ولذلك قال بعده: ﴿وَمِنْ وَرائِهِ عَذابٌ غَلِيظٌ﴾[3] وبيّن –تعالى– أنّ عمل الخير من الكفّار لا ينفع، فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ﴾[4]؛ فبيّن أن كفرهم يحبط كلّ خير عملوه، وبيّن أنّ ذلك هو الضّلال البعيد؛ ثمّ بيّن –تعالى– بعده بقوله حكاية عمن استكبر عند قول الاتباع ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً﴾[5] أنّهم ﴿قالُوا لَوْ هَدانَا اللهُ لَهَدَيْناكُمْ﴾[6]. وذلك في الآخرة فمرادهم اذا لو هدانا الله –تعالى– إلى الجنّة وعدل بنا عن النّار لفعلنا ذلك بكم.

وهذا يدلّ على أنّ الهدى قد يكون على هذا المعنى، كما قد يكون بمعنى الدّلالة والبيان.

وقوله: ﴿سَواءٌ عَلَيْنا أَجَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ﴾[7] يدلّ على ان العذاب دائم لا كما يقوله بعض الجهال من انه ينقطع.

وقوله –تعالى– من بعد حكاية عن الشّيطان: ﴿وَقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[8] يدلّ على أنّ الشّيطان لا يقدر إلاّ على الوسوسة، وعلى أنّ وسْوسته لا تزيل الذمّ والعقاب عمّن قبل منه، وأنّ اللّوم في كلّ فاعل على نفسه يرجع.

---

[1] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[2] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[3] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[4] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[5] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[6] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[7] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[8] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

وقوله من بعد: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾[1] يدلّ على انّ الظّلم من الذّنوب العظام التي يستحقّ بها العذاب.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾[2] انّ ذلك يدلّ على انّ ايمانهم من فعل الله فيثبتهم عليه.

وجوابنا ان المراد يثبتهم على الخيرات دينا ودنيا لاجل ايمانهم فلذلك قال ﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[3] ولذلك قال بعده: ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾[4] أي يضلهم عما يفعله بالمؤمنين دينا ودنيا ولذلك قال بعده: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْراً﴾[5] تعجّبا منهم من حيث لم يعرفوا موقع نعم الله تعالى وعدلوا عن شكره وطاعته ورغبنا عاجلا في الطاعة فقال: ﴿قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾[6] فبين أن الذي ينفعهم في الآخرة أن يطيعوا بأنفسهم وبأموالهم قبل اليوم الذي فيه لا ينتفع أحد بمكسب وتصرف.

ثمّ بيّن تعالى أنواع نعمه بقوله –جلّ وعزّ–: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ﴾[7] إلى قوله: ﴿وَآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوها﴾[8] ترغيبًا للعبد في شكر هذه النّعم حالًا بعد حال ثمّ قال –تعالى– من بعد: ﴿إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[9].

---

[1] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[2] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[3] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[4] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[5] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[6] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[7] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[8] سورة إبْرَاهِيم، الآية .
[9] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

[المسألة الثّامنة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ﴾[1] كيف يصح أن يسأل ربّه هذين الأمرين ثمّ يوجد خلاف ذلك فانا نجد البلد يجري فيه الخوف العظيم ونجد في أولاده من يعبد الاصنام؟

وجوابنا: أن قوله: آمنّا لا يدلّ على كلّ شيء فقد يكون آمنا من ضروب الخوف غير آمن من سواه ومعلوم ما يحصل بمكة من الامن ويحتمل أنه دعا ربه أن يجعله آمنا في ايامه حتى يؤمن بعضهم ويتألفوا على طاعته.

والمراد بقوله: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾[2] من هو موجود منهم وقد نزههم الله تعالى عن ذلك.

وقوله بعد ذلك: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ﴾[3] يعني الاصنام فمراده أنهن صرن سببا للضلال لا ان الصنم يصح أن يضل ويهدي ولذلك قال بعده: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4]، يعني بالتّوبة.

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾[5] كيف يصحّ ذلك، وهو الذي بنى البيت على ما ذكره الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْماعِيلُ﴾[6].

---

[1] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

[2] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

[3] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

[4] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

[5] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

[6] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

وجوابنا انه يحتمل في قوله: عند بيتك المحرم أن يكون المراد عند تلك البقعة التي بني فيها البيت.

ويحتمل ان بناء البيت كان قائما ثمّ اختل فبناه ابراهيم فيكون الكلام مستقيما ومعنى قوله من بعد: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ﴾[1] أنّ عنده انزال العقوبات بهم من حيث لا يشعرون وسمّاه مكرا مجازا ومعنى قوله –تعالى–: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّماواتُ﴾[2] انهما يصيران على خلاف هذه الصورة سماه تبديلا كما يقال ان فلانا قد تبدّل اذا تغيرت أخلاقه.

ويحتمل أن يكون الله –تعالى– يبتدئهما فيخلق أرضا غير هذه في القيامة وسماء غير هذه فيكون أقرب الى الحقيقة.

---

[1] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

[2] سورة إبْرَاهِيم، الآية .

سورة الحجر

سورة الحجر

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ﴾[1] كيف يجوز ذلك ولا شكّ في انّهم يتمنّون في الآخرة ذلك، فما فائدة ﴿رُبَما﴾[2].

وجوابنا أنّ ذلك من باب الرّدع وربما يكون أقوى، فأحدنا يقبل على ولده وقد عدا عن التّعلّم، فيقول ربّما تندم على ما أنت عليه، فيكون في الزّجر أبلغ، ولأنّ الكافر قد يسلم ويتوب، فلا يقطع منه على ذلك.

ومعنى قوله بعد: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[3] تبيّن صحة ما قلناه لأن ذلك وان كان بصورة الأمر، فهو تهديد وزجر عظيم.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل ما فائدة قوله –تعالى–: ﴿وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَها كِتابٌ مَعْلُومٌ﴾[4] وكلّ شيء يفعله فهو في معلومه ويثبت في أم الكتاب؟ فأيّ فائدة في هذا التّخصيص؟

وجوابنا ان القوم كانوا يسْتعْجلون العذاب من الأنبياء إذا توعدوهم، فبيّن –تعالى– أنّ ذلك مؤقّت بوقت لا يقدّم ولا يؤخّر.

[المسألة الثّالثة]

---

[1] سورة الحجر، الآية .

[2] سورة الحجر، الآية .

[3] سورة الحجر، الآية .

[4] سورة الحجر، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَقالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[1]، كيف يصحّ ذلك مع جحدهم لنبوّته وانكارهم ان الله –تعالى– أنزل ذلك عليه؟

وجوابنا: أنّهم قالوا على وجه أنّ ذلك صفته عند نفسه، لأنّه –صلّى الله عليه وسلّم– كان يدّعى ذلك. وهذا كرجل يدّعى أنّه صانع، فينادي بما يدعيه، وإن كان المنادى لا يعترف له به، وبيّن ذلك ما ذكروه من بعد: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَوْ ما تَأْتِينا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[2]، وبيّن –تعالى– لهم أنّه ما ينزل الملائكة إلّا بالحقّ، ومتى أنزلهم لم يكن إنكار وإمهال.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾[3] يدلّ على ان القرآن لا يغير ولا يبدل ولا يزاد فيه ولا ينقص وشبّههم بمَن يجهل ما يشاهده بقوله –جلّ وعزّ–: ﴿لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾[4]، فبيّن أنّهم في العدول عن التمسك بالنبوات والقرآن بهذه المنزلة.

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ﴾[5] أما يدل ذلك على أن أفعال العباد من خلقه لدخوله في قولنا شيء.

وجوابنا ان المراد ان عندنا علم كلّ شيء، ولذلك قال: ﴿وَما نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[6] أو يكون المُراد عندنا القدرة على ما ذكرنا من النّعم، فلا ننزّل ذلك إلّا بقدر الحاجة إليه بيّن ذلك أنّه –تعالى– قال من قبل: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْناها وَأَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ

---

[1] سورة الحجر، الآية .
[2] سورة الحجر، الآية .
[3] سورة الحجر، الآية .
[4] سورة الحجر، الآية .
[5] سورة الحجر، الآية .
[6] سورة الحجر، الآية .

وَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ﴾[1]، فبيّن بعده أنّه قادر على إدامة ذلك وكنّى عن القدرة التي لا آخر لها بذكر الخزائن ولذلك قال بعده: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ﴾[2]، فذكر ما ينزله من الأمطار وما ينبته من الاقوات ثمّ قال: ﴿وَما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ﴾[3] ثمّ قال: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوارِثُونَ﴾[4].

دلّ كل ذلك على عظم نعمه على عباده مرغّبا لهم في شكره وطاعته، ثمّ بيّن –تعالى– كيف خلق آدم من ﴿صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[5] وكيف خلق الجان ليعتبر بذلك وكيف أمر بالسّجود لآدم وتقدم القول في ذلك وبين بقوله –تعالى–: ﴿إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ﴾[6] أنّ الذي يقال من أن الشيطان محبط لا أصل له وإنه إنما يوسوس، فلا يكون له سلطان إلّا على من يتّبعه فيقبل منه الوسْوسة.

وعلى هذا الوجه كرّر –تعالى– في القرآن التحذير من الشّيطان فحاله في ذلك دون حال الواحد من الإنس إذا رغب غيره في المعاصي.

فعلى هذا الوجه قال –تعالى–: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[7] التّابع والمتبوع ثمّ بيّن –تعالى– ما للمتّقين من المنزلة بقوله –تعالى–: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ﴾[8] إلى آخر الآيات وأدّب الله –تعالى– نبيّه –صلّى الله عليه وسلّم– بقوله: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[9]، فأمره بتحقير ما عليه الكفّار من متاع الدّنيا وأمره بالتّواضع لمَن آمن به وأمره بأن يقوم بالإنذار في كلا الفريقيْن، فلا يمنعه تمنّع القوم عن الإنذار، كما لا يمنعه إيمان مَن آمن به عن ذلك.

---

[1] سورة الحجر، الآية .
[2] سورة الحجر، الآية .
[3] سورة الحجر، الآية .
[4] سورة الحجر، الآية .
[5] سورة الحجر، الآية .
[6] سورة الحجر، الآية .
[7] سورة الحجر، الآية .
[8] سورة الحجر، الآية .
[9] سورة الحجر، الآية .

ثمّ أقسم –تعالى– بعد ذلك على أنّه يسألهم أجمعين عما كانوا يعملون ولم يقتصر على الخبر حتى اكده بالقسم زجرا للناس عن المعاصي فان من تصوّر أن معاصيه طول عمره محصية عليه يصير في الآخرة كالمشاهد لها جميعها يزجره ذلك عن الاقدام عليها وترك التّوبة منها ولذلك قال بعده للرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–: ﴿فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[1] فقد أقمت الحجّة عليهم ﴿إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[2] الذين يقع في قلبك الخوف منهم فشبّهه –تعالى– بالصّادع في الإبلاغ والإنذار ليكون مقيمًا للحجّة على من آمن وكفر واكّد –تعالى– بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ﴾[3]، فقد كانوا ينسبونه مرّة الى السّحر ومرّة الى الجنون ومرة الى الفرية ومثل ذلك يعظم على المرء ويأنف منه، فقوّى الله –تعالى– قلبه على احتماله وعلى ألاّ يجعله سببًا للفتور في الابلاغ والبيان، فلذلك قال بعده: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[4].

وهذه الآداب، وإن خصّ الله –تعالى– بها الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–، فهي عامّة في سائر النّاس، وهي من عظيم نعم الله –تعالى– على خلقه إذا تأمّلوه وتمسّكوا به، فما أحد من المكلّفين إلّا وله وليّ وعدوّ يتردّد بين محن ونعم، فكلّ ذلك تأديب له.

---

[1] سورة الحجر، الآية .

[2] سورة الحجر، الآية .

[3] سورة الحجر، الآية .

[4] سورة الحجر، الآية .

سورة النَّحْل

سورة النّحل

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾[1]: وكيف يكون إنزالهم بالرّوح؟ وكيف يكون الروح أمرًا؟

وجوابنا أنّ المراد به ذلك: القرآن والشّرع، كما قال: ﴿وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنا﴾[2] وسمّى القرآن روحًا، لأنّه بمنزلة الرّوح الذي يحيا به أحدنا من حيث يحيا به الإنسان في أمر دينه، وأنّه يؤدّي إلى الحياة الدّائمة.

[المسألة الثّانية]

فإن قيل: فما معنى قوله: ﴿أَتى أَمْرُ اللهِ﴾[3]؟ وهل المُراد به هذا الأمر الذي تنزّله الملائكة؟

قيل له: بل الأقرب في أتى أمر الله أنّه الوعيد، ولذلك قال بعده: ﴿فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[4]، لأنّهم كانوا يستعجلون العذاب، كقولهم: ﴿ائْتِنا بِما تَعِدُنا﴾[5] وكما قال ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ﴾[6] فبين أنّ أمر الله قد أتى بالوعيد في الآخرة، والله –تعالى– حليم لا يعجل فلا تستعجلوه.

---

[1] سورة النَّحْل، الآية .

[2] سورة النَّحْل، الآية .

[3] سورة النَّحْل، الآية .

[4] سورة النَّحْل، الآية .

[5] سورة النَّحْل، الآية .

[6] سورة النَّحْل، الآية .

ثمّ قال تعالى ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾[1] وعنى به الاحكام وسائر الشّرائع التي بيّنها الله –تعالى– في القرآن وعلى لسان الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– ولذلك قال بعده ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[2].

ثمّ قال بعده ﴿خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3] وبيّن أنه خلق ذلك لكي يؤمن العباد وذلك يبطل قول مَن يقول خلق بعضهم ليكفروا.

وكيف يقول –جلّ وعزّ– ﴿تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[4] وهو الذي يخلق فيهم الشرك ويجعلهم بحيث لا يقدرون الا عليه؟!

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل: كيف قال –تعالى–: ﴿وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾[5]، وإنّما يخلق ما يخلقه لمصالح المكلفين.

وجوابنا: أن ما لا يعلمه الملائكة قد يكون صالحًا لنا، وقد يجوز فيما يخلقه أن يكون نفعًا لنا وان لم نعلمه أو نفعا لبعض الحيوان أو تفضلا فلا يلزم ما قالوه.

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْها جائِرٌ﴾[6]: كيف يصحّ في قصد السّبيل أن يكون على الله؟ وكيف يصحّ أن يكون منها جائر؟

وجوابنا: أنّه –تعالى– لما بيّن من قبل نعمه وبين من جملتها الأنعام والخيل والبغال وكيف خلقها نفعا للمكلّفين قال بعد ذلك إنّ على الله قصد السّبيل والمُراد: بيان ما يلزم

---

[1] سورة النَّحْل، الآية .

[2] سورة النَّحْل، الآية .

[3] سورة النَّحْل، الآية .

[4] سورة النَّحْل، الآية .

[5] سورة النَّحْل، الآية .

[6] سورة النَّحْل، الآية .

المكلف وازاحة سائر علله فلا يجوز أن يكلفه ما لا يصح إلاّ بالأنعام وغيرها إلا ويخلقها له وكذلك سائر ما يحتاج اليه.

وبيّن بقوله: ﴿ومنها جائز﴾[1] أنّ في جملتها ما يخرج المكلّف عنه ويعصى مع أن في جملتها ما يقبل ويطيع ولو شاء ﴿لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2] بالالجاء لكن ذلك لا ينفع.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى– ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[3]: أمَا يدل ذلك على أنّه لا فعل إلاّ لله؟

وجوابنا أنه تعالى بيّن من قبل أصناف النعم من انزاله الماء وإنباته أنواع الخيرات والثّمرات وتسخيره اللّيل والنّهار والبحر وما فيها من النعم والنّجوم ودلالتها على الامور، فقال بعده تنبيهًا للخلق عمّا يلزم شكره وعبادته: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ﴾[4]، فبعث بذلك على عبادة الله –تعالى– وبكّت به مَن يعبد الأصنام وغيرها ممّا لا تصحّ منه هذه النّعم، ولا يدخل في ذلك أفعال العباد، لأنّه نبّه بذلك على أنّ الواجب أن يفعلوا الطّاعة والشّكر والعبادة، وكيف يكون نفس الفعل خلقًا من قبَل الله –تعالى–.

ولذلك قال بعده: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها﴾[5] فبيّن أن الذي قدم ذكره من نعمه هو قليل من كثير النّعم التي يفعلها الله –تعالى– حالا بعد حال في جسم الانسان وحواسه وجوارحه وغير ذلك.

ثمّ قال: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَما تُعْلِنُونَ﴾[6] يخوّف بذلك العبد من أن يخالف ما يظهر من الطاعة ويبعثه على أن يكون باطنه في الاخلاص كظاهرة.

---

[1] سورة النَّحْل، الآية .

[2] سورة النَّحْل، الآية .

[3] سورة النَّحْل، الآية .

[4] سورة النَّحْل، الآية .

[5] سورة النَّحْل، الآية .

[6] سورة النَّحْل، الآية .

والذي بيّن ما قلناه: قوله –تعالى– من بعد: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ﴾[1].

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ وَمِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2]: كيف يصحّ أن يحملوا أوزار غيرهم ولئن جاز ذلك لم يمتنع أن يعذب الله تعالى أطفال المشْركين بذنوب آبائهم؟

وجوابنا: إنّ الذين أضلوهم لمّا كانوا سببًا لضلالهم جاز أن يقول تعالى ذلك والمراد أنهم لما ضلّوا وأضلّوا كانت أوزارهم أعظم كما روي عنه –صلّى الله عليه وسلّم–: ﴿فيمن سنّ سنّة سيّئة أنّ عليه وزرها ووزر من عملها﴾[3]؛ والمراد مثل ذلك لا أنّ عين ما يستحقّه مَن يتأسّى به يستحقه من سنّ فعل السنّة السيّئة.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾[4]: أَمَا يدلّ ذلك على أنّه –تعالى– يهدي ويضلّ وان ذلك من خلقه؟

وجوابنا: أنّ المُراد: فمنهم مَن هدى الله إلى الثّواب لتمسّكه بالعبادة؛ ومنهم مَن حقّت عليه الضّلالة عن الثّواب إلى العقاب بمعصيته وهذا كقوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾[5] فسمّى نفس العقاب ضلالًا، كما سمّى نفس الثّواب هدى في قوله:

---

[1] سورة النَّحْل، الآية .

[2] سورة النَّحْل، الآية .

[3] سورة النَّحْل، الآية .

[4] سورة النَّحْل، الآية .

[5] سورة النَّحْل، الآية .

﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بالَهُمْ﴾[1] والهدى بعد القتل لا يكون الاّ بالاثابة ولذلك قال بعده: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلى هُداهُمْ فَإِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾[2]، فنبّه بذلك على ما ذكرنا.

ويحتمل أن يريد بالهدى زيادة البصيرة فيفعله بمن قبل وأطاع عنده دون من علم أنّه لا يقبل كما قال –تعالى–: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً﴾[3].

[المسألة الثّامنة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً﴾[4]: كيف يصحّ أنّه يوحي الى ما لا يعقل وعندكم أنه –تعالى– إنّما يوحي إلى الأنبياء؟

وجوابنا: ان المراد بذلك ألهمها هذه الامور وخلق فيها العلم بهذه الأشياء ولم يرد بذلك الوحي الذي يكون بانزال الملائكة وكل أمر يلقى الى الغير على وجه الاخفاء والاستسرار يوصف بأنه وحي.

فلمّا كان ما ألهم جل وعز النحل على هذا الحد جاز أن يقول أوحى اليها ونبه بذلك على عجيب أمر النّحل فيما تتعاطاه من هذا الطّعام الذي هو أشرف الأطعمة، وكيف تلتقط ذلك من الشّجر المختلف حتى يحصل منه هذا الطّعام وكيف تتولّى مكان ذلك وكيف ترتبه ومتى تأمّل العاقل ذلك عرف به من عجيب نعم الله –تعالى– ما لا يكاد يوجد في سائر الحيوان.

[المسألة التّاسعة]

---

[1] سورة النَّحْل، الآية .

[2] سورة النَّحْل، الآية .

[3] سورة النَّحْل، الآية .

[4] سورة النَّحْل، الآية .

وربّما قيل في قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ ما يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللهُ﴾[1]: أما يدلّ ذلك على أنّه –تعالى– يخلق فيها الطّيران؟

وجوابنا أنّه –تعالى– لمّا جعل في الجو الهواء المتكاثف الذي يصحّ من الطّير أن يطير فيه ويتوقّف عليه جاز أن يضيفه الى نفسه بأنّه سخّرها لما فعل ما لولاه لم تثبت في الجوّ، لأنّه –تعالى– جعل ذلك الهواء اللّطيف بمنزلة الماء الذي يسبح فيه وهذا هو وجه الكلام.

ثمّ إنّه –تعالى– بعد ذلك رغب في عبادة الله –تعالى– بأقوى وجوه الترغيب فقال ﴿ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللهِ باقٍ﴾[2] فنبّه بذلك على أنّ ما عندنا له نهاية وآخر وان الذي يدوم من النعم هو ما يجازي جل وعز عباده المطيعين به فرغب بذلك في فعل ما يؤدي الى هذه النّعم الباقية ولذلك قال بعده: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

[المسألة العاشرة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ﴾[4]: كيف يصح ذلك والاستعاذة تتقدم قراءة القرآن لا أنها تتأخر عنه؟

وجوابنا أن المراد فاذا عزمت على قراءة القرآن وهممت فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وهذا كقوله: ﴿إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾[5] والمراد اذا أردتم ذلك ومثل ذلك يستعمل في اللّغة بقول القائل لغيره اذا سافرت فاستعد لسفرك يريد اذا هممت بذلك.

---

[1] سورة النَّحْل، الآية .

[2] سورة النَّحْل، الآية .

[3] سورة النَّحْل، الآية .

[4] سورة النَّحْل، الآية .

[5] سورة النَّحْل، الآية .

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] يدلّ على أن سلطان الشّيطان ليس الا بالوسوسة فقط فمن يقبل منه يوصف بأنّ له عليه سلطانًا دون من لا يقبل ولذلك قال: ﴿إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾[2].

[المسألة الحادية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾[3]: كيف يصحّ أن يفعل –تعالى– ما يدعوهم الى تكذيبه وذلك مفسدة.

وجوابنا: أنّه –تعالى– ذكر ما يقولون عند إبدال آية مكان آية ولم يذكر أنه السّبب في هذا القول، بل كانوا في تكذيب الرّسول على طريقتهم ومثل ذلك جائز عندنا ولا يكون مفسدة وإنّما يكون مفسدة متى وقعت المعصية عنده، ولولاه كانت لا تقع.

وبيّن –تعالى– ما به يدفع عنهم هذه الشّبهة، فقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[4].

وانّما أحالهم على علمهم برتبة القرآن في الفصاحة، ولولا ذلك لقالوا له: ومن أين روح القدس أنزله فبطل بذلك ما أوردوه.

[المسألة الثّانية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللهِ لا يَهْدِيهِمُ اللهُ﴾[5]: أليس هذا يدل على أن من لم يؤمن لم يهده الله كما يقوله المخالف؟

---

[1] سورة النَّحْل، الآية .

[2] سورة النَّحْل، الآية .

[3] سورة النَّحْل، الآية .

[4] سورة النَّحْل، الآية .

[5] سورة النَّحْل، الآية .

وجوابنا أنّ المراد لا يهديهم الى الجنة والثواب من حيث لم يؤمنوا ولذلك أتبعه بقوله ﴿وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

[المسألة الثّالثة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ﴾[2]: أليس ظاهرة يقتضي اباحة الكفر والكذب وذلك قبيح لا يجوز على الله –تعالى–؟

وجوابنا: أنّ قوله: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾[3] استثناء منقطع، ومعناه: لكن من اكره وقلبه مطمئن بالايمان.

[المسألة الرّابعة عشر]

فإن قال قائلٌ: إنّ السّؤال عليكم في ذلك لازم لأنه كأنه قال لكن من أكره على الكفر والكذب والاكراه لا يحسن ذلك.

قيل له: إنّه –تعالى– لم يبين ما يكره عليه وما يأتيه المكره والذي يكره عليه هو غير الذي يأتيه المكره لان المكره انّما يكرهه على الكفر والكذب والذي ينبغي أن يأتيه المكره هو ما أباحه الله –تعالى– له من التّعريض، فكأنّه يقول ان لم تقل ان الله ثالث ثلاثة قتلتك، فيقول هو عند الاكراه ذلك على وجه الحكاية أو على وجه دفع الضّرر من غير أن يقصد الخبر فيحسن منه ذلك عند الاكراه فأمّا نفس الكذب فلا يحسن من العاقل على وجه.

وفي العلماء مَن يقول: إذا كذب، فالإثم مرفوع عنه وإن كان قبيحًا لمكان الاكراه والذي قدّمناه هو الصّحيح، ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ﴾[4]،

---

[1] سورة النَّحْل، الآية .

[2] سورة النَّحْل، الآية .

[3] سورة النَّحْل، الآية .

[4] سورة النَّحْل، الآية .

فمدحه ثمّ ذمّه بقوله: ﴿وَلكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ﴾[1]، إذ كانوا مختارين والإكراه زائل.

وقوله –تعالى–: ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ﴾[2] يدلّ على قدرتهم على الطّاعة والمعصية، فصحّ بذلك أن يؤثروا أحد الامرين على الآخر، لأنّ قوله: ﴿استحبوا الحياة الدنيا﴾[3]، المراد به آثروا ما يشتهونه من الباطل.

وقوله: ﴿عَلَى الْآخِرَةِ﴾[4]: المراد به على ما يؤدي الى عمارة الآخرة من الحق ثمّ قال تعالى–: ﴿وَأَنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾[5] مع علمنا بأنّه قد بيّن لهم ودلهم على ما يلزمهم ولو لا ذلك لما كفروا يدلّ على أنّه أراد بما نفاه الهدى الى الثّواب والجنّة على ما بيّناه من قبل.

ثمّ بيّن –تعالى– حال الكافرين بأنّه طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم والمراد به تشبيه حالهم بحال من هذا صفته ولولا ذلك لم يكن ليذمهم ولذلك قال بعده: ﴿وَأُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ﴾[6] ومَن يمنعه الله من هذه الأفعال لا يسمّى غافلاً ثمّ حقّق ذلك بقوله: ﴿لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾[7].

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[8] يدخل في جملته من أكره على الكفر بمكة حتى صبر وعرّض ثمّ تخلص بالهجرة وذلك يبين أن كلا الامرين يحسن من المكره وأن الأفضل أن يصبر على ما يخوف به ولا يدخل على طريق الاباحة.

[المسألة الخامسة عشر]

---

[1] سورة النَّحْل، الآية .
[2] سورة النَّحْل، الآية .
[3] سورة النَّحْل، الآية .
[4] سورة النَّحْل، الآية .
[5] سورة النَّحْل، الآية .
[6] سورة النَّحْل، الآية .
[7] سورة النَّحْل، الآية .
[8] سورة النَّحْل، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى– ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها﴾[1]: أليس ذلك يدلّ على إثبات نفسين لنا وذلك لا يصحّ عندكم؟

وجوابنا: أنّ المُراد بالنّفس: غير المكلّف، فكأنّه قال يوم تأتي كلّ مكلف تجادل عن نفسه وهذا أحد ما يدل على صحة القول بالعدل لانه لو لم يكن له فعل وكان الله –تعالى– يفعل فيه ان يشاء الكفر وان يشاء الايمان لم يكن للمجادلة وجه ثمّ قال –تعالى– بعده: ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ﴾[2] والمُراد: جزاء ما عملت لان نفس عملها وقد تقضي لا يجوز أن توفاه فليس الاّ ما ذكرناه ولذلك قال بعده ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[3] والظّلم انما يصحّ في المجازاة لا في نفس العمل.

[المسألة السّادسة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَأَذاقَهَا اللهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾[4] بعد ذكر كفرهم أليس ذلك يدل على انه تعالى يعاقب في الدنيا الكفّار وعندكم ان ما يلحقهم من فقر ومرض لا يكون عقابا.

وجوابنا: انه يحتمل ان الصلاح عند كفرهم ما يفعله بهم من جوع وخوف لأن ذلك عقوبة كما تأولنا عليه قوله –تعالى–: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ﴾[5].

[المسألة السّابعة عشر]

---

[1] سورة النَّحْل، الآية .

[2] سورة النَّحْل، الآية .

[3] سورة النَّحْل، الآية .

[4] سورة النَّحْل، الآية .

[5] سورة النَّحْل، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهالَةٍ﴾[1]: أليس الفاعل مع الجهالة معذورا فيما يأتيه، فكيف أوجب الغفران بالتوبة من ذلك؟

وجوابنا: أنّه قد يقال ذلك فيمن دخلته الشّبهة فيعمل السوء عندها، فلا يكون معذورا والاصل في الجهالة انه موضع للذمّ.

[المسألة الثّامنة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً﴾[2]: أليس ذلك يوجب انه متعبد بشرائع ابراهيم –صلّى الله عليه وسلم– وذلك بخلاف قولكم؟

وجوابنا انه اذا كان يتبع ما يعرفه من شرائعه فذلك جائز عندنا وانما ننكر كونه صلّى الله عليه وسلم متعبدا بشرائع من تقدم على معنى انه عرف ما دعوا اليه فتمسك بذلك من دون أمر مبتدأ من قبله –تعالى– أوحى به اليه.

ثمّ أوجب –تعالى– بقوله: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3] على رسوله –صلّى الله عليه وسلم– أن يدعو الى توحيد الله وعدله والى سائر ما يكون دينًا وحقًّا وبيّن له كيف يدعو وذلك واجب على غير الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– أن يفعله بمن يجهل الدين كما قال –تعالى–: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً﴾[4].

وبيّن هذا بقوله –تعالى–: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[5]، على انّ مَن أقدم في باب الدين على ما لا يحل فهو مؤاخذ على ذلك، ودلّ به على انّ الضّلال والاهتداء من قبل العبد؛ وقوله –تعالى–: ﴿وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا

---

[1] سورة النَّحْل، الآية .

[2] سورة النَّحْل، الآية .

[3] سورة النَّحْل، الآية .

[4] سورة النَّحْل، الآية .

[5] سورة النَّحْل، الآية .

بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾[1]، وهو مجاز، لأنّ ما يفعله العبْد لا يكون عقابا في الحقيقة فهو كقوله –تعالى– ﴿فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ﴾[2].

ثمّ بيّن –تعالى– انّ الصّبر على ذلك والأخذ بالعفْو خير من الانتقام، وبيّن أنّ صبره –صلّى الله عليه وسلّم– يكون بالله –تعالى– بقوله: ﴿وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ﴾[3].

فدلّ بذلك على انّ الصّبر وسائر الطّاعات إنّما تقع عند الطّاقة وتيسيره وتسهيله، وبيّن بقوله –تعالى– من بعد: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[4] انّه –تعالى– يخصّ بالغفران والرّحمة مَن يوصف بأنّه متّق ومحسن، وذلك يدلّ على قولنا في الوعيد.

---

[1] سورة النَّحْل، الآية .

[2] سورة النَّحْل، الآية .

[3] سورة النَّحْل، الآية .

[4] سورة النَّحْل، الآية .

سورة الإسراء

سورة الإسراء

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا﴾[1]: كيف يصحّ قطع هذه المسافة في هذه الاوقات القصيرة؟ وما فائدة ذلك ويصحّ منه –تعالى– أن يريه الآيات من دون ذلك، وإن كان المُراد أنه عرج به الى السّماء، كما روي في الخبر، فذلك ممكن من المدينة.

وجوابنا: انّ ذلك من معجزاته –صلّى الله عليه وسلّم– ولا ننكر في يسير من الأوقات ذلك، كما جعل الله –تعالى– معجزة سليمان الرّيح بقوله –تعالى–: ﴿وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ﴾[2].

واذا كان الصّلاح أن يريه الآيات التي ببيت المقدس فلا بد من أن يسري به الى هناك.

وما روي في خبر المعراج، ففيه ما يجوز أن يصحّ وفيه ما لا يصحّ كما ذكر فيه أنه –تعالى– في مكانه، وأنّه –صلّى الله عليه وسلّم– كان يذهب إليه ويعود. تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

وقوله –تعالى– من بعد في كتاب موسى: ﴿وَجَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ﴾[3] يدلّ على أنّ الهدى هو الدّلالة والبيان لا نفس الإيمان، كما يقوله المجبرة.

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾[1]، فالمُراد به الاعلام كقوله –تعالى–: ﴿وَقَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ﴾؛ ولذلك أضاف الفساد إليهم بقوله –تعالى–: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾[2].

وقوله –تعالى–: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها﴾[3] يدلّ على قدرتهم على الامرين، وأنّهم إذا أساءوا فمن جهتهم وبيّن –تعالى– بقوله: ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4] أنّ الواجب على من يتلوه أن يتدبّر ذلك، فيكون داعية له إلى التّمسّك بما هو أقوم وصارف عن طريقة مَن لا يؤمن بالآخرة.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ﴾[5]: كيف يصح ذلك ومعلوم أنّ كون آية النّهار مبصرة دون اللّيل لا صحّة له مع وجود القمر؟

وجوابنا: ان ذلك يدل على انّه –تعالى– يحرك الشّمس في سمائها فإذا كانت بحيث يصحّ أن ترى كان نهارًا وإذا كانت بخلافه كان ليْلاً، وأنّ ذلك لا يكون بالطّبع ولا بغيره على ما ذهب إليه بعض الملحدة، وذلك من عظيم نعم الله –تعالى–، كما قال: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ﴾[6].

[المسألة الثّالثة]

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

[5] سورة الإسْرَاء، الآية .

[6] سورة الإسْرَاء، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾[1] أنّ ذلك لا يعرف في اللّغة، لأنّه لا يُقال فيمن له الحقّ أو عليه أنّه طائر في عنقه.

وجوابنا ان كتاب الله –تعالى– وصف بأنه عربي فما يوجد فيه يجب أن يعلم أنه لغة إمّا مجاز وإمّا حقيقة وإذا كنا نقبل ذلك متى ورد به شعر منظوم أو كلام منثور فلأن يلزم ذلك لما ذكرنا أولى والمراد ألزمناه جزاء عمله وما يستحقه وذلك من فصيح الكلام.

وقد يقال فيما يخرج من سبب وحظ خرج لفلان الطائر بكذا فلا وجه لما قالوه والوجه فيه ظاهر لان الطائر يلزم المرء لا بحسب اختياره وربما يجتهد في دفعه فلا يصح فجعل تعالى ما يستحقه على ذنوبه بهذه المنزلة ولذلك قال –تعالى–: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً﴾[2] فبيّن أنّ المطويّ المكتوم الذي يمكن المرء إصلاحه بالتّوبة يصير في الآخرة ظاهرا، ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[3].

قال الحسن البصري: لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك، فكلّ ذلك زجر عن المعاصي وبيّن بقوله –تعالى–: ﴿فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها﴾[4] أنّ الاهتداء بالايمان والضّلال بالكفر من قبل العبد وحقق ذلك بقوله –تعالى– ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾[5]، وأنّ أحدًا لا يؤاخذ بما يفعله غيره أكّد ذلك بقوله –تعالى– ﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[6].

فإذا كان –تعالى– لا يعذّب حتّى يقيم الحجة بالرّسل وبالبينات، فكيف يجوز أن يعذب المرء على أمر لم يقدر عليه وكيف يجوز أن يعذب الطفل بذنب أبيه وهو من لا يقدر ولا يعرف الخير من الشر وكل ذلك يبطل قول هؤلاء المجبرة؟

[المسألة الرّابعة]

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

[5] سورة الإسْرَاء، الآية .

[6] سورة الإسْرَاء، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها﴾[1]: أليس ذلك يدلّ على أنّه أراد منهم ذلك الفسْق؟

وجوابنا أنّه –تعالى– لم يذكر ما أمرهم به، ومعلوم أنّه لم يأمرهم بالفسق بل أمرهم بخلافه، فكأنّه قال –تعالى–: ﴿أَمَرْنا مُتْرَفِيها﴾[2] بالطّاعة ﴿فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾[3]، أي الوعيد والهلاك المعجل.

ولذلك قال بعده: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾[4]، وقد قرئ: ﴿وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها﴾[5]، فتأويله: أمرناهم بمنعهم عن المعاصي، ففسقوا فيها.

وقد قيل: انّ معنى قوله: ﴿وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾[6]: ارادة الطّاعة منهم والعبادة دون الهلاك، فإنّ ذلك قد يستعمل في اللّغة على هذا الوجه؛ فقد يقال إذا أراد العليل الهلاك تعاطى التّخليط في المأكل لا أنّه في الحقيقة يريد الهلاك؛ وإن أراد التّاجر ان تأتيه البضائع من كل جهة فعل كيت وكيت لا أنه يريد ذلك في الحقيقة.

وما قدّمناه أوّلاً أقرب الى المراد.

والذي يحكي من القراءة الثّانية، وهو قوله –تعالى–: ﴿أَمَرْنا مُتْرَفِيها﴾[7].

فالمُراد به يقرب ممّا قدّمناه، إذ المُراد كثرناهم ليطيعوا ففسقوا فيها، ولذلك قال بعده: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾[8].

وكلّ ذلك ترغيب في الطّاعة وتخويف من خلافها.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ﴾[9] دلالة على انّه يمكن العبد من الطّاعة والمعصية فإذا أراد العاجلة وما

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

[5] سورة الإسْرَاء، الآية .

[6] سورة الإسْرَاء، الآية .

[7] سورة الإسْرَاء، الآية .

[8] سورة الإسْرَاء، الآية .

[9] سورة الإسْرَاء، الآية .

يتّصل بالهوى والشّهوة لم يمنعه النّعم وان كان يزجره عن ذلك وقوي هذا الزّجر بقوله ﴿ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾[1]؛ ثمّ قال –تعالى– ﴿وَمَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ﴾[2]: يعني الفعل الذي يؤدّي الى الثّواب في الآخرة ﴿وَسَعى لَها سَعْيَها وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾[3].

واذا وصف –تعالى– سعي العبد بأنّه مشكور فقد عظم موقعه ثمّ بيّن أنه لأجل المعصية لا يمنع من الانعام المعجل فقال ﴿كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾[4] فانّ عطاء المعجل تفضّل وقد تكفل –تعالى– بهذا التّفضّل للعاصي وللمطيع.

وإنّما يخصّ المؤمن بالثّواب لأنّه مما لا يحسن أن يفعل إلاّ بمَن يسْتحقّه كما لا يحسن منا الاعظام إلا لمن يستحق وان حسن منّا الهبات لمن يستحقّ ولمن لا يستحقّ.

ثمّ بيّن أنّه فضل بعضهم على بعض وأنّ الفضل العظيم هو الفضل في الآخرة، فقال –تعالى–: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾[5] وبين –تعالى– في قوله: ﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾؛ وقضاؤه لا يكون الاّ حقا ان المراد بذلك الالزام.

وبيّن في هذه الآيات –جلّ جلاله– جملة ممّا إذا تمسّك بها المرء عظمت منزلته الى قوله: ﴿كُلُّ ذلِكَ كانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾؛ فدلّ بذلك على أنّه كاره للسيّئات لا كما يقوله كثير من العامّة أنّه يريد ذلك ويشاؤه كيف يجوز ذلك مع شدة نهيه عنها وزجره وتخويفه ووعيده؟

وذكر –تعالى– في هذه الآيات من الآداب والاحكام نحو عشرين خصلة إذا تدبّرها القارئ عظم نفعه بها وفي جملتها ما يلزم في حقّ الابوين وما يجب أن يتعاطاه في تدبير النفقات وما ينبغي أن يستعمله في حقّ الاولاد واليتامى وبسط ذلك يطول.

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

[5] سورة الإسْرَاء، الآية .

[المسألة الخامسة]

فإن قيل: كيف يقول –تعالى–: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ﴾[1]، وذلك ممّا لا يقع من أحد، فكيف نهى عنه؟

قيل له: ليس المراد بذلك ما يقتضيه ظاهره بل المراد أن لا يضيق على نفسه وعلى من تلزمه نفقته وهذا من أفصح الكلام في وصف البخل ولذلك قال –تعالى– بعده ﴿وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ﴾[2] منع بذلك من التّبذير ثمّ نبه على ما يقْتضي ذلك من الحسْرة فيما بعد فقال ﴿فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾[3].

ثمّ بيّن تكفّله –تعالى– بالرّزق فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾[4] يعني بحسب المصالح وبعث النّبيّ –صلّى الله عليه وسلم– على تدبر هذه الآيات بقوله –تعالى– من بعد: ﴿ذلِكَ مِمَّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾[5] والمرء يلزمه أن ينظر ويتدبّر في وصيّة الله للصّالحين.

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[6] كيف يصح ذلك من الجمادات.

وجوابنا أن من تدبّر ذلك عرف المُراد، فإنّه –تعالى– قال من قبل: ﴿سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً﴾[7]، يعني اتّخاذ قوم لآلهة سواه ثمّ أتبعه بذكر الدّلائل على

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .
[2] سورة الإسْرَاء، الآية .
[3] سورة الإسْرَاء، الآية .
[4] سورة الإسْرَاء، الآية .
[5] سورة الإسْرَاء، الآية .
[6] سورة الإسْرَاء، الآية .
[7] سورة الإسْرَاء، الآية .

التّوحيد، فقال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ﴾[1]، يعني: أنّها تدلّ على توحيده وتنزيهه عن الاشباه فالمراد بتسبيح السّموات والارض ومن فيهنّ: ما ذكرناه، لا أنّ المراد به القول الذي يسمّى تسبيحًا، لأنّ دلالة هذه الأمور على توحيد الله –تعالى– أوكد من دلالة القول فهذا معناه.

وكذلك قوله –تعالى–: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[2] يجب أن يحمل على ما ذكرناه، لأنّه لا شيء إلّا وله حظ في الدّلالة على توحيد الله وكذلك قال –تعالى–: ﴿وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[3]، لأنّ ذلك إنّما يعرفه من ينظر ويتدبّر ومن هذا حاله قليل في النّاس.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً﴾[4]: كيف يصحّ أن يمنعهم من سماع القرآن الذي فيه الشّفاء والبيان.

وجوابنا: أنّ المُراد بذلك من المعلوم انّه لا ينتفع بل يظهر منه الاذى للرّسول ولذلك قال –تعالى–: ﴿أَكِنَّةً﴾[5] والمراد: أنّهم لشدة انصرافهم عن الانتفاع به صار قلبهم بهذا الوصف وصاروا كالصم ولذلك قال –تعالى–: ﴿وَإِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾[6]، فبيّن أنّهم لا ينتفعون ويؤذون.

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .
[2] سورة الإسْرَاء، الآية .
[3] سورة الإسْرَاء، الآية .
[4] سورة الإسْرَاء، الآية .
[5] سورة الإسْرَاء، الآية .
[6] سورة الإسْرَاء، الآية .

ولذلك قال من بعد: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً﴾[1] ثمّ قال: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا﴾[2].

[المسألة الثّامنة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[3]: أمَا يدلّ ذلك على أنّهم لا يقدرون على خلاف هذا الضّلال؟

وجوابنا: أنّهم لا سبيل لهم بالطّعن في نبوّتك إلى تحقيق ما نسبوه إليك من سحر وغيره، وليس المُراد: أنّهم لا يقدرون على الطّاعة.

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾[4]: كيف يجوز في تكذيبهم من قبل أن يكون مانعًا لذلك؟

وجوابنا: أنّ المراد الآيات التي لا ينتفع القوم باظهارها فقد كانوا يطلبون عين المعجزات الظّاهرة على الأنبياء كقوله –تعالى–: ﴿وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾[5] الى غير ذلك.

فبيّن –تعالى– أن جرى العادة بتكذيب الأمم بمثل ذلك يمنع من أن يفعله –تعالى–.

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

[5] سورة الإسْرَاء، الآية .

ويحتمل أن يريد بذلك: إهلاك المكذّبين الذين لا يؤمنون، كما جرت به عادته –تعالى– فيمن يكذّب الأنبياء من الغرق وغيره من ضروب الإهلاك؛ ولذلك قال بعده: ﴿وَآتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها وَما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً﴾[1].

فأمّا قوله –تعالى–: ﴿قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً﴾[2]، فالامر فيه ظاهر أنّه ليس بأمر وكذلك قوله: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ أنّه تهديد وزجر فليس لأحد أن يسأل عن ذلك.

ولذلك قال بعده: ﴿وَعِدْهُمْ وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[3].

وبيّن من بعد أنه لا سلطان للشّيطان إلاّ من جهة الوسوسة الضّعيفة، فقال: ﴿إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ﴾[4]. ويحْتمل أنّه يريد –تعالى– بذلك: أهْل الايمان والصّلاح من حيث لا تؤثّر فيهم وسْوسة الشّيطان.

[المسألة العاشرة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى﴾[5]: كيف يصحّ ذلك مع علمنا بخلافه؟

وجوابنا: أنّ المراد من ذهل عن تمييز الخير والشر في الدنيا فهو بأن يذهل عن ذلك في الآخرة أولى، وليس المُراد إثبات العمى في الحقيقة، بل هو ترغيب في التّمسّك بالطّاعة.

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

[5] سورة الإسْرَاء، الآية .

وبيّن –تعالى– بعد ذلك ألطافه التي خصّ بها الرّسول –صلّى الله عليه وسلم– بقوله –تعالى–: ﴿وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ﴾[1]، وبقوله: ﴿وَلَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾[2].

وإنّما –صلّى الله عليه وسلّم– يمْنع من هذه الامور بما جرت به عادة الله –تعالى– من صرْفه عنها.

[المسألة الحادية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها﴾[3] كيف يصحّ منهم إخْراجه من الأرض؟

وجوابنا: أنّ المُراد: الأرض المعهودة؛ فهذه الألف واللّام دخلتَا على معهود؛ فبيّن –تعالى– ما كانوا عليه من شدّة المعاداة، حتّى همّوا بإخراجه من الأرض المعروفة به – صلّى الله عليه وسلّم–؛ وبيّن أنّ ذلك لو تمّ لمَا لبثوا إلاّ قليلاً على سنّة الله –تعالى– فيمن تقدّم.

[المسألة الثّانية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَضِعْفَ الْمَماتِ﴾[4]: ما فائدة اضافة الضّعف الى الحياة والى الممات؟

وجوابنا: أنّ ذلك وعيد بالعذاب المعجل في حال الحياة في الدّنيا والمؤخّر إلى الآخرة، فأضاف ذلك العذاب إلى الممات لمَا كان لا يموت إلاّ بعده.

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

[المسألة الثّالثة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾[1]: ما الفائدة في ذكر الحمْد في اسْتجابتهم يوم القيامة؟

وجوابنا أن المراد إنّكم حامدون لله –تعالى– على نعمه المتقدّمة وأن أمر بكم الى النار والى المحاسبة الشّديدة ويحتمل ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾[2] استجابة حامد شاكر لا يمكن من جهتكم الامتناع.

[المسألة الرّابعة عشر]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾[3] كيف يصحّ ان يخصّه بأنّه مشهود، والله –تعالى– شاهد لكلّ شيء؟ وكيف يضيف القرآن الى الفجر؟

وجوابنا أن المراد أقم القرآن الفجر فنبه بذلك على وجوب القراءة في الصلاة وبين ما لهذه الصّلاة من الخصوصية بأنه يشهدها ملائكة الليل والنهار.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾[4] يدلّ على أنّ موقع هذا التّهجّد عند الله عظيم، وإن كان نفلًا.

ومعنى عسى هو وقوع ذلك لا بمعنى الشكّ وعلى هذا الوجه قال: المتقدّمون في عسى، ولعلّ أنّهما من الله واجبان.

[المسألة الخامسة عشر]

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]: أليس يوجب ذلك أنّ بعضه شفاء ورحمة دون بعض؟

وجوابنا: أنّ المراد أنّه ينزل ما يدعوهم الى التّمسّك بالإيمان، ولا يجب ذلك في كلّ القرآن.

وبعد، فانّ ذكر بعضه بهذا الوصْف لا يدلّ على أنّ سائره بخلافه.

[المسألة السّادسة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[2] كيف يصح أن يكون هذا جوابه.

وجوابنا أن المراد أنّهم سألوه عن الروح ولما ذا يحتاج الحيّ منا إليها، فبيّن –تعالى– أنّ ذلك ممّا لا يعلمه إلاّ الله –تعالى– ولم يسألوه عن نفس الرّوح ما هو، وقد قيل: إنّهم سألوه عن جبريل –صلّى الله عليه وسلّم– في وقت نزوله بالوحي دون آخر: وذلك ممّا لا حاجة بهم إلى معرفته، ولذلك قال بعده: ﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[3].

ثمّ بيّن –تعالى– عظم شأن القرآن بقوله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[4]، فنبّه بذلك على أنّ له من الرتبة في الفصاحة ما لا تدركه العباد انفردوا أو اجتمعوا ولو كانوا يقدرون عليه وإنّما صرفوا عنه لم يكن لهذا القول معنى.

وبيّن –تعالى– بقوله: ﴿وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾[5] أنّه –تعالى– لا يجعل معجزات أنبيائه ما يوافق شهوة القوم، وإنّما يظهر من ذلك ما يعلمه أصلح؛ فلذلك قال: وقد طلبوا تفجيرًا لينبوع وطلبوا البيت من الزّخرف، وأن يرقى في

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

[5] سورة الإسْرَاء، الآية .

السّماء، وأن ينزّل عليهم الكتب والجنة من النّخل والعنب وإسقاط الكسف من السّماء، وأن يأتي بالله والملائكة قبيلًا بالكلمة الواحدة ما كان جوابًا لهم، وهو قوله –تعالى–: ﴿قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً﴾[1].

والمُراد انّ معرفتي بالمصالح مفقودة، وأنّه –تعالى– هو العالم بذلك.

فبيّن أنّ بعثة الملك ليست لصلاح كبعثة البشر بقوله –تعالى–: ﴿قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولاً﴾[2]، فبيّن أنّ قبول الشّرع للبشر من البشر أقرب.

[المسألة السّابعة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمًّا﴾ كيف يصح ذلك، وهم يسْمعون في الآخرة ويتكلّمون.

وجوابنا أنّه –تعالى– لم يذكر الا أنهم يحشرون، كذلك لا أنّهم يكونون بهذا الوصف أبدًا، فلا تناقض في الآيات الواردة في ذلك.

[المسألة الثّامنة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾[3]: كيف يجوز أن يقول لفرعون ذلك مع ادعائه إنّه الإله دون الله –تعالى–؟

وجوابنا أنّه لا يمتنع أن يجحد ذلك وان كان يعلمه طالبا لثبات ملكه وقد اتفق منه أشياء تدل على ذلك نحو قوله: ﴿يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى﴾[4] وغير ذلك.

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

وانّما يصح أن يسأل عن ذلك على أحد القراءتين فإمّا اذا قرئ لقد علمت، فانّما المراد موسى وقد عنى نفسه بذلك.

[المسألة التّاسعة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ﴾[1]: كيف يصحّ ذلك والمدعو هو الله تعالى–؟

وجوابنا: أنّ المُراد الدّعاء بذكر الله –تعالى– أو بذكر الرّحمن، فنبّه –تعالى– على أنّه متى دعا داع بأيّ اسم من أسمائه الحسنى جاز؛ ولذلك قال –تعالى– ﴿أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى﴾[2].

---

[1] سورة الإِسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإِسْرَاء، الآية .

سورة الكهف

سورة الكهف

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً﴾[1] كيف يصح أن ينفي عنه أن يكون قيما كما نفى عنه العوج.

وجوابنا: أنّه لم يدخل في العوج وصار قوله قيّما من صفات الكتاب، كما أنّ قوله لينذر من صفات الكتاب؛ فكأنّه قال: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾، وجعله ﴿قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ﴾.

وقد قيل: إنّه مؤخّر في الذكر وهو مقدّم، فكأنّه قال الحمد لله الّذي أنزل على عبده الكتاب قيّمًا ولم يجعل له عوجًا، وذلك في المعنى يؤدّي إلى ما قدّمناه في الفائدة.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها﴾[2]: كيف يصحّ ذلك وعلى الأرض ما لا يصحّ كوْنه زينة للأرض كالحشرات وغيرها؟

وجوابنا: أنّ المراد على الأرض من شجر وزرع ونبات دون غيره، لأنّ قوله زينة لها يدلّ على ذلك ولأنّ عدّ ذلك في جملة النّعم يدلّ عليه؛ ولذلك قال بعده: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[3].

وبيّن بعده بقوله: ﴿وَإِنَّا لَجاعِلُونَ ما عَلَيْها صَعِيداً جُرُزاً﴾[4] أنّه يجعل الأرض عند الحشر بخلاف ما هي عليه الآن.

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾[1]: كيف يصحّ أن يبتديه بذلك، وهو لم يعرف شيئًا من أحوالهم؟

وجوابنا: أن مثل ذلك قد يقال في اللغة ابتداء لتوكيد ما يورد من الحديث.

وعلى هذا الوجه قال –تعالى–: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعامِ﴾[2].

وقد قيل: إنّه –صلّى الله عليه وسلم– سئل عن ذلك، فصحّ أن يعلمه الله –تعالى– به على هذا الوجه من القول.

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَهُمْ رُقُودٌ﴾[3]: كيف يصحّ ذلك، ومعلوم أنّ صفة الرّاقد خلاف صفة المسْتيْقظ فيما يشاهد؟

وجوابنا: انّهم كانوا وهم رقود بصفة المسْتيْقظ في فتْح العيون والتّبسّم، وذلك من آيات الله –تعالى– العجيبة.

وظاهر ذلك: أنّهم بقوا تلك المسافة الطّويلة رقودًا، وذلك من آياته العجيبة.

وإن كان في النّاس مَن تأوّل الآية على أنّهم كانوا موتى، لأجل قوله –تعالى–: ﴿وَكَذلِكَ بَعَثْناهُمْ﴾[4]، ولا يُقال ذلك إلاّ فيمن أحياه الله –تعالى– بعد الممات والأقرب الأوّل، لأنّه إذا جعلهم راقدين هذه المدّة الطّويلة صحّ أن يقول بعده: ﴿وَكَذلِكَ بَعَثْناهُمْ﴾[5].

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

[5] سورة الإسْرَاء، الآية .

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾[1]: أليس ذلك يدلّ على أنّه –تعالى– يشاء كل أمر واقع قبيح وحسن؟

وجوابنا: أنّ ذلك تأديب لرسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– ولأمّته في أن لا يقع منهم القطع على ما ذكر أنّهم يخبرون به من الأفعال، لأنّ القاطع على ذلك لا يأمن أن يكون كاذبًا، فينبغي أن يقيّده بالمشيئة، لأنّها تخرج الخبر من ان يكون مقطوعًا به.

ولولا صحة ذلك لوجب أن يكون –صلّى الله عليه وسلّم– لا يخبر بأمر المستقبل إلاّ مع العلم بأنّ الله –تعالى– قد شاءه وذلك لا يصحّ؛ وقد كان –صلّى الله عليه وسلّم– يعزم على المباح، كما يعزم على ما هو عبادة، والله –تعالى– لا يشاء الا الطّاعة.

ولولا صحة ذلك لحسن من أحدنا كما يقول تقول الصدق غدا إن شاء الله أن يقول: أسرق وأزني إن شاء الله وذلك محظور على لسان الأمة فالمُراد إذا تعليق الكلام بالمشيئة ليخرج من أن يكون خبرا قاطعا لا ان تعلقه به على وجه الشرط.

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا﴾[2]: أليس أضاف –جلّ وعزّ– ذلك إلى نفسه؟

وجوابنا: أنّ المراد من وجدناه غافلا ولو لا ذلك لما صح أن يقول تعالى من بعد ﴿وَاتَّبَعَ هَواهُ﴾[3] وأن يذمّه على ذلك.

وقد قيل: إن المراد جعلنا قلبه خاليا عن الكتابة التي ذكر الله تعالى أنه يسم بها قلوب المؤمنين في قوله: ﴿أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ﴾[4] فلما أخلى قلبه عن ذلك وصفه بهذا الوصْف.

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

فأمّا قوله –تعالى–: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1]، فهو تهديدٌ؛ ولذلك قال بعده: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها﴾[2].

وذكر الحسن بن أبي الحسن في قوله –تعالى–: ﴿وَلَوْ لا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ما شاءَ اللهُ﴾[3] أنّ ذلك يدلّ على أنّه –تعالى– لا يشاء الا الطّاعة فكأنّه قال: قلت القول الذي يشاؤه الله دون ما أوردته من قولك ﴿ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً وَما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً﴾[4].

وبيّن –تعالى– بقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فِيها﴾[5] كيف يتحسّر على ما أنفقه وأمل فيه المنافع اذا خاب أمله وجعل ذلك لطفا في المحافظة على طاعة الله –تعالى– على ما يستحقه من ثواب الآخرة.

ثمّ ضرب –تعالى– مثل الحياة الدّنيا، فقال ﴿كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ﴾[6]، وبعث بذلك المكلّف على الحرص على عمل الآخرة من حيث يدوم نعيمها وبيّن –تعالى– أنّ المال والبنين زينة الحياة الدّنيا والباقيات الصّالحات أوْلى بتكلّف المرء لها.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَعُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا﴾[7]: كيف يصحّ في جميعهم أن يكونوا كذلك في حال المحاسبة؟

وجوابنا: أنّه ليس المُراد أنّهم يعرضون صفًّا واحدًا، بل المُراد أنّهم يعرضون من دون اختلال واختلاط، فيشاهد بعضهم بعضًا فمن ظهر أنّه من أهل الخير يكون سروره بمعرفة

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .
[2] سورة الإسْرَاء، الآية .
[3] سورة الإسْرَاء، الآية .
[4] سورة الإسْرَاء، الآية .
[5] سورة الإسْرَاء، الآية .
[6] سورة الإسْرَاء، الآية .
[7] سورة الإسْرَاء، الآية .

الناس بحاله أعظم لوقوف الخلائق على صورة أمره ومن هو من أهل النار يعظم غمّه، وهو معنى قوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ﴾[1].

وبيّن –تعالى– بعده التّخويف الشديد من المعاصي بقوله: ﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصاها﴾[2].

وذلك يدلّ على انّ المرء يؤاخذ بالصّغائر كما يؤاخذ بالكبائر اذا مات على غير توبة.

ومعنى: ﴿وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً﴾[3] ثواب ما عملوا حاضرا لأن عملهم قد فنى في الحقيقة.

وقوله من بعد: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[4] يدلّ على أنّ المعاقب يستحقّ العقوبة على فعله وعلى أنّه –تعالى– منزّه عن الظّلم وسائر القبائح.

وقوله –تعالى–: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[5] يدلّ على انّه ليس من الملائكة.

وقوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[6] يدلّ على أنّ الفسق هو الخروج إلى عداوة الله.

وقوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي﴾[7] تحذير شديد عن اتّخاذه وليًّا والقرب منه، ولذلك قال ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾[8].

وقوله –تعالى–: ﴿وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾[9] يدلّ على أنّ المضلّ لأجل إضلاله لا يعينه –تعالى–؛ ولو كان الإضلال من قبله –كما يقول المجبرة–، لمَا صحّ ذلك.

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

[5] سورة الإسْرَاء، الآية .

[6] سورة الإسْرَاء، الآية .

[7] سورة الإسْرَاء، الآية .

[8] سورة الإسْرَاء، الآية .

[9] سورة الإسْرَاء، الآية .

وقوله –تعالى–: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نادُوا شُرَكائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾[1] يدلّ على أنّ الفعل للعبد، فلذلك بكّتهم على اتّخاذ الشركاء من دون الله.

[المسألة الثّامنة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها﴾[2] وصفهم بالظنّ، وهم يعلمون ذلك في الآخرة؟

وجوابنا: أنّه أراد بالظن العلم، ولذلك قال عقبه ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْها مَصْرِفاً﴾[3]؛ وقد يذكر في الأمور المستقبلة الظنّ مع العلم، لأنّه من باب ما يجوز أن يقع ويجوز أن لا يقع؛ فمن حيث كان هذا شأن الشّيء في نفسه؛ وهذا حاله جاز أن يعبّر عنه بذلك.

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾[4]: كيف يصحّ ذلك، وإنّما ذكر –تعالى– فيه بعض الأمثال؟

وجوابنا: أنّ ذلك مبالغة كقوله –تعالى–: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾[5]؛ ومذهب العرب في ذلك معروف.

والمُراد من كلّ مثل يحتاج العباد إليه في أمر دينهم وما هذا حاله موجود في القرآن من صفات الأمور الدّنيويّة وصفات الآخرة وغيرهما.

وقوله –تعالى–: ﴿وَكانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾[6] يدلّ على أنّه الفاعل، فيصحّ أن يجادل عن نفسه، ولو كان كلّ تصرّف مخلوقًا فيه لمَا صح ذلك.

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .
[2] سورة الإسْرَاء، الآية .
[3] سورة الإسْرَاء، الآية .
[4] سورة الإسْرَاء، الآية .
[5] سورة الإسْرَاء، الآية .
[6] سورة الإسْرَاء، الآية .

وقوله –تعالى–: ﴿وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾[1] من أقوى الأدلّة على ان الإيمان فعلهم والامتناع منه كذلك، لأنّه لا يصحّ أن يقال للمرء ما منعك أن تكون طويلاً صحيحًا أو مريضًا، لمَا كان ذلك من خلق الله فيه.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى﴾[2] يدلّ على أنّ الهدى هو البيان والدلالة ويدلّ على انّ الاهتداء بهذا الهدى من قبله.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[3] يدلّ على أنّ العبد يستحقّ على فعله الطّاعة ما يبشّر به من الثّواب وعلى المعصية ما ينذر به من العقاب.

ولو كان الأمر كما يقوله المجبرة في أنّه –عزّ وجلّ– يخلق الافعال فيهم، وانّ له أن يعاقب من أطاعه ويثيب من عصاه لما صحّ ذلك.

وقوله –تعالى–: ﴿وَيُجادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[4] لا يصحّ لولا أنّ الكفر من قبلهم ولو كان الله هو الخالق له فيهم، لكان لهم أن يقولوا لا عيب علينا في ذلك، وإن كان باطلاً، لأنّ الله –جلّ وعزّ– خلقه فينا، ولمَا صحّ أن يقول –تعالى–: ﴿وَاتَّخَذُوا آياتِي وَما أُنْذِرُوا هُزُواً﴾[5]، وقد منعوا من خلاف ذلك.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها﴾[6] كيف يصحّ أن يبالغ تعالى في وصفه بظلم نفسه.

وهذا الإعراض من قبَل الله –تعالى–، ولو شاء خلاف ذلك، لما صحّ.

وبعد ذلك وصفهم بالاكنة والوقر لمّا لم يقبلوا ما أمروا به على وجه المبالغة والمُراد أنّ ذلك ما يؤنس منهم أن يختاروه، فصاروا بمنزلة ما لا يفقه ولا يسمع؛ ولذلك قال –تعالى–: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾[7].

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .
[2] سورة الإسْرَاء، الآية .
[3] سورة الإسْرَاء، الآية .
[4] سورة الإسْرَاء، الآية .
[5] سورة الإسْرَاء، الآية .
[6] سورة الإسْرَاء، الآية .
[7] سورة الإسْرَاء، الآية .

ثمّ بيّن –تعالى– رحمته بتأخير العقاب عنهم وهذه حالتهم فقال: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِما كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذابَ﴾[1].

ولذلك يوصَف –تعالى– بأنّه حليم محسن الى مَن أساء، كما أنّه محسن إلى مَن أحسن، فيمهل ولا يعجل لئلاّ يكون للمعاصي حجّة يتعلّق بها، وليصحّ أن يُقال له: ما أوتيت فيما قدمت عليه إلاّ من قبل نفسك.

وقوله –تعالى–: ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً﴾[2] يدلّ على ان وعيده –تعالى– حقّ لا يقع فيه خلف.

[المسألة العاشرة]

وربّما قيل كيف قال –تعالى–: ﴿فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما﴾[3] فاضاف النسيان اليهما.

ثمّ قال –تعالى– من بعد: ﴿قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا﴾[4]، ثمّ قال: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾[5] حاكيًا عن فتاه، ثمّ قال –تعالى– ﴿وَما أَنْسانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾[6]، وذلك كالمُتناقض.

وجوابنا: أنّه –تعالى– أضاف إليهما النّسيان لمَا بلغا مجمع بينهما؛ ثمّ أضاف ذلك إلى الفتى لما جاوزا.

وإذا اختلف الحالان صحّ، وقد يصحّ فيما تحمّله المسافران أن ينسب الحال فيه إليهما، لمَا كان لا يتمّ ذلك إلّا بهما.

[المسألة الحادية عشر]

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

[5] سورة الإسْرَاء، الآية .

[6] سورة الإسْرَاء، الآية .

وقوله –تعالى–: ﴿وَما أَنْسانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطانُ﴾[1] دليلنا على أنّ الفعل للعبد، لأنّه لو كان خلقًا لله –تعالى–، لكان قوله لو قال وما إنسانيه إلاّ الرحمن أوْلى وأصوب ومتى قيل النّسيان عندكم من فعل الله –تعالى–، فكيف يصحّ ذلك؟

فجوابنا: أنّ المُراد بالنّسيان هنا: التّقاعد والإهمال، وذلك من فعْل العبد.

فعلى هذا الوجْه حصلت الإضافة.

[المسألة الثّانية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾[2]: كيف قطع في ذلك، وهو أمر مستقبل لا يعرفه إلّا علّام الغيوب؟

وجوابنا: أنّ ذلك من قول صاحب موسى، وكان نبيًّا، فيجوز أنّه –تعالى– عرّفه ذلك.

ويحتمل أنه لمّا كان عارفا بأنّ الذي يفعله من خرق السفينة وقتل الغلام بالغ في التّعجّب منه مبلغًا عظيمًا، وأنّ ذلك ممّا يتعذّر الصّبر عن معرفة علّته ﴿قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾[3] لمَا قوي ذلك في ظنّه؛ ولذلك قال –تعالى–: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾[4].

وقول موسى –صلّى الله عليه وسلّم–: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللهُ صابِراً﴾[5] يدلّ على قوّة عزمه على الصّبر.

ثمّ قال بعده: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾[6].

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

ويحتمل أن يكون المراد بقوله –تعالى–: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾[1] انّ ذلك يثقل عليه، فقد يقال إن فلانا لا يقدر على سماع كلام فلان وأراد أنه يثقل عليه.

[المسألة الثّالثة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾[2] عند خرق السفينة وقتل الغلام أليس ذلك يدل على أن القدرة مع الفعل فنفي استطاعته عن الصبر لما لم يصبر.

وجوابنا ان المراد ليس هو الاستطاعة التي هي القدرة بل المراد ثقل ذلك عليه لما رأى الامر العجيب ولم يعرف تأويله ووجه الحكمة فيه فلذلك قال –تعالى–: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾[3] فبيّن انّه انّما لم يستطع الصبر لأنه لم يعرف تأويله ولو عرفه كان يستطيع وهذه الاستطاعة هي بمعنى ما يثقل على المرء ويخفف.

[المسألة الرّابعة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها﴾[4]، ثمّ قال –تعالى–: ﴿وَكانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[5]، فإنّه اذا كان يأخذ كلّ سفينة، فكيف يصحّ أن يقول ذلك؟

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

[5] سورة الإسْرَاء، الآية .

وجوابنا: أنّ المُراد يأخذ كلّ سفينة صحيحة غصبًا وذلك ما يعقل من الكلام بقوله –تعالى–: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها﴾[1]، لأنّه نبّه بذلك على أنّ ذلك الملك كان ينصرف عن أخذ المعيب من السّفن إلى أخذ الصّحيح.

فأمّا قوله –جلّ وعزّ– ﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْيانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[2] فإنّ مَن تدبّر يعرف به حكمة الله –تعالى– وعدله، وأنّه يفعل بالمكلّف أقرب الأشياء الى طاعته؛ وأنّه –تعالى– ينفي عنه ما يدّعوه إلى معصيته، فأمر –عزّ وجلّ– صاحب موسى بقتل الغلام لمّا كان لو بلغ بلوغه داعية كفرهما.

ويدلّ أيضًا على انّ الكفر من فعلهما، لأنّه لو كان خلقًا من الله –تعالى– لم يصحّ ذلك.

وقوله –عزّ وجلّ–: ﴿وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾[3] يدلّ على انّ ذلك كان من أمر الله –تعالى– وإذنه.

[المسألة الخامسة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿حَتَّى إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾[4]: كيف يصحّ أن يجدها تغرب في شيء من الأرض وهي إنما تغرب في مجاري غروبها؟

فجوابنا: أنّها تغرب على وجه يشاهد كذلك، كما توجد الشّمس تغرب في البحر إذا كان المرء على طرفه، وكما يقول المرء إنّ الشّمس تطلع من الأرض وتتحرّك في السّماء؛ والمراد بذلك: ما ذكرناه من تقدير المشاهدة.

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿قالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذاباً نُكْراً﴾[1] يدلّ على أنّ ذلك الظلم فعل العبد، وعلى أنّ هذا التّعذيب فعل ذي القرنيْن؛ فلذلك أضاف العذاب المتقدّم إلى نفسه، ثمّ العذاب المتأخّر إلى ربّه.

[المسألة السّادسة عشر]

وربّما قيل في قصّة يأجوج ومأجوج: كيف يصح وصفه لهم بأنّهم ﴿لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾[2] ثمّ وصفهم بأنهم يفسدون؟ وكيف يصحّ قوله –تعالى–: ﴿فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً﴾[3]؟ وكيف يصحّ أن يبقوا على الزّمان لا يستطيعون ذلك حيث يقول –تعالى–: ﴿فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾[4] يعني الحشْر؟

وجوابنا: انّ قوله ﴿لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾[5] يحتمل مع كمال عقلهم للمباينة في اللغة ويحتمل خلافه فلا يدلّ على ما ذكروا.

وقوله: ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[6] يحتمل أن يكون مع كمال العقل، ويحتمل مع فقده كما يقال فيمن لا عقل له انه يفسد الزّرع، بل يقال ذلك في البهائم وذلك السدّ معمول بالصفر وما يجري مجراه؛ فصحّ ان لا يمكنهم التأثير فيه لفقد الآلات ولقوّة السدّ وإحكامه.

ويحتمل أنّه –تعالى– يصرفهم عن الشّغل بذلك فيبقى الى يوم القيامة.

واختلفوا في يأجوج ومأجوج، فمنهم مَن قال: هم غير مكلفين؛ ومنهم مَن قال: يجوز أن يكون تكليفهم بجميع العقلي والشّرعي بأن يسْمعوا الأخبار ممّن يقرب من السدّ، فتتواتر عندهم؛ ومنهم مَن قال: بل تكليفهم بالعقلي دون الشّرعي الذي لم تبلغ دعوته إليهم.

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

[5] سورة الإسْرَاء، الآية .

[6] سورة الإسْرَاء، الآية .

ثمّ ذكر –تعالى– من بعد ما تعظم الفائدة به لمَن تدبّره، فقال –سبحانه–: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[1]، فبيّن –تعالى– أنّ أعمال مَن لا يحفظ عمله، فيفسدها بالكفر والفسق تكون إلى خسار وتبار وتصير كالحسْرة في الآخرة؛ فلذلك قال: ﴿الذين ضل سعيهم﴾[2]، والمراد: ذهب هدرًا.

ولذلك قال آخرًا: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً﴾[3]، فنبّه على أنّ كلّ مَن حبط عمله يكون حكم سعْيه في الخيْرات هذا الحكم.

ثمّ بيّن أنّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات، فلم يحبطوا ما فعلوه: ﴿كانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خالِدِينَ فِيها لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً﴾[4]؛ فإنّ مساكن الدّنيا قد يبتغي المرء عنها حولاً، وليس كذلك الجنّة.

وفي قوله –تعالى– عزّ وجلّ: ﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي﴾[5] ما إذا تأمّله العاقل، علم أنّ كلمات الله –تعالى– لا تُحْصَر، وأنّه قادر على ما لا نهاية له؛ ومَن هذا حاله، كيف يصحّ أن يُقال محدَث أو مخلوق؟!

---

[1] سورة الإسْرَاء، الآية .

[2] سورة الإسْرَاء، الآية .

[3] سورة الإسْرَاء، الآية .

[4] سورة الإسْرَاء، الآية .

[5] سورة الإسْرَاء، الآية .

-٥-

سورة مريم

سورة مريم

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[1]: أليس يدل على ان صلاحه من قبل الله –تعالى–؟

وجوابنا: انّ الرّضا قد يكون كذلك بأمور يفعلها الله به من كمال العقل والحزم؛ ومن النّبوّة وغير ذلك، فلا يصح تعلقهم به.

[المسألة الثّانية]

وربّما سألوا وقالوا: كيف خاف زكريا –صلّى الله عليه وسلّم– الموالى فرغب إلى ربّه أن يرزقه ولدًا يرثه حقّ الانبياء ولم الفكر في أمور الدّنيا؟

وجوابنا: انّه لم يعن وراثة المال بل عنى وراثة العلم والدّين والنّبوّة، فأراد أن يكون ذلك في داره ولم يذكر أيضًا ما الذي خافه من الموالي؛ وقد يحتمل أن يكون خاف منهم التّغيّر اذا مات فأحب أن يكون هناك من يقوم مقامه في النّبوّة حتّى لا يتغيّروا.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى﴾[2]: ما الفائدة في ذكر الاسم واللّقب والكلّ في ذلك سواء؟ وما الفائدة في قوله: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾[3]، ولو جعل له سميّا لم تتغيّر البشرى؟

---

[1] سورة مَرْيَم، الآية .

[2] سورة مَرْيَم، الآية .

[3] سورة مَرْيَم، الآية .

وجوابنا: انّ من تمام نعمة الله أن يرزقه المسمى ويتولى اسمه، لانّ ذلك يكون في الانعام أزيد؛ وكذلك اذا لم يكن له من قبل من يساويه في الاسم، كان الاحسان أعظم.

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[1]: كيف يستبعد ذلك، وهو نبيّ، وقد بشّره الله –تعالى– به لأجل ما ذكره؟

وجوابنا: أنّ ذلك استبعاد من حيث العادة لا من حيث القدرة وذلك يصح في الانبياء كما يصحّ في غيرهم ولو أن نبيّا من الانبياء بشر من بالبادية بنهر جار لجاز أن يقال: كيف يصحّ ذلك في هذا المكان؟ فيكون استبعادا من حيث العادة لا من حيث القدرة.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾[2] أليس ذلك يدل على أن المعدوم ليس بشيء؟

وجوابنا: أنّ المُراد: ولم تك شيئًا على الوصْف الذي أنت عليه من الفضل والنّبوّة، فإذا صحّ أنّ أخلقك على هذا الوجه صحّ أن أرزقك ولدا مع كبرك، فلا تسْتبْعد ذلك في القدْرة وجواز مثْله في العادة.

وقوله –تعالى–: ﴿يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ﴾[3]، فيدلّ على انّ القوّة قبل الفعل على ما نقول، والاّ كان لا يصحّ ذلك، كما لا يصحّ ممّن لا يد له أن يقال: خذ بيدك.

---

[1] سورة مَرْيَم، الآية .

[2] سورة مَرْيَم، الآية .

[3] سورة مَرْيَم، الآية .

فأمّا قوله –تعالى–: ﴿وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[1] فيدل على أن مخالفة الصبي للبالغ هو من حيث العادة لا من حيث القدرة.

وقوله [–تعالى–]: ﴿وَحَناناً مِنْ لَدُنَّا﴾[2] أراد به الأنْعام العظيم عليه بأن جعله نبيًّا وناصحًا وباعثًا على الخيرات.

وقوله –تعالى–: ﴿قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾[3] لا يدلّ على أنّه لم يكن واثقًا بما بشّر به على ما روي عن بعضهم أنّه شكّ في البشرى بل مراده بذلك التّوكيد لما بشر به اذا لم يجعل له آية تدلّ على الوقت الذي يرزق فيه الولد وان كان قد عرف بالبشارة ذلك لكنه جوّز التقديم والتأخير.

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾[4]: أليس ذلك يتناقض لأنّه اذا كان تقيًّا اسْتغْنى فيه عن التّعوذّ، وكان الأقْرب أن يقول: إنّي أعوذ بالرّحمن منك إن لم تكن تقيًّا؟

وجوابنا أنها قالت هذا القوْل، وهي لا تعرفه، فقالت: أعوذ بالرّحمن منك إن كنت ممّن يتّقيه ويخشى عذابه على وجه التّخويف، كقول القائل إن كنت مؤمنًا، فلا تظلمني.

وقوله –تعالى–: ﴿فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا﴾[5] يدلّ على أن خلقة الملائكة مخالفة لخلقة النّاس، فتمثّل بهذه الخلقة ويدل على تقارب خلقتهم في البنية لخلقة البشر.

وإن كانت لهم آلات وعظام ويجوز أن تنفصل وتتّصل وإنّما أنزل إليها جبريل –صلّى الله عليه وسلّم– وإن كان نزوله من المعجزات علمًا لزكّريا –صلّى الله عليه وسلّم–، فقد كان نبيًّا في الوقت.

---

[1] سورة مَرْيَم، الآية .

[2] سورة مَرْيَم، الآية .

[3] سورة مَرْيَم، الآية .

[4] سورة مَرْيَم، الآية .

[5] سورة مَرْيَم، الآية .

وقول مريم ﴿يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا﴾[1] لا يدلّ على كراهتها لما قضاه الله فيها وفي ولدها وإنّما تمنّت ذلك من حيث يعصى النّاس في أمرها لخروجه عن العادة ولما يلحقها من الخجل.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يا أُخْتَ هارُونَ﴾[2]، كيف يصحّ أن يقال لها ذلك وبينها وبين هارون أخي موسى الزّمن الطّويل؟

وجوابنا: انّه ليس في الظّاهر أنّه هارون الذي هو اخو موسى، بل كان لها أخ يسمى بذلك واثبات الاسم واللقب لا يدل على أن المسمّى واحد، وقد قيل: كانت من ولد هارون، كما يقال للرجل من قريش: يا أخا قريش.

[المسألة الثّامنة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا﴾[3]، فكيف يصح للطفل أول ما يولد أن يتكلم بذلك وأن يكلف الصلاة والزكاة وأي فرق بين من يجوز ذلك وبين من يجوز تكليف الموتى؟

وجوابنا أنّه –تعالى– قادر على إكمال عقله وتقوية جسمه في تلك الحالة وان كان كلا الامرين يحصل فينا في العادة في الوقت الطويل بالتدريج.

واذا كان كذلك وألهمه الله –تعالى– هذا القول صحّ أن يقول ما قال وصحّ سائر ما وصف به نفسه أو ليس يوجب قوله وأوصاني بالصّلاة والزّكاة أنّه في هذا الوقت خاصّة لانّ الوصيّة تتقدّم وتتأخر.

---

[1] سورة مَرْيَم، الآية .

[2] سورة مَرْيَم، الآية .

[3] سورة مَرْيَم، الآية .

وإنّما جعل الله معجزة عيسى –صلّى الله عليه وسلم– في حال ولادته، لمَا كان في ذلك من إزالة الرّيب بذلك عن القلوب، وبغير هذه الآية لا يكاد يزول.

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ما كانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحانَهُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1]: كيف يصحّ في أمر محال أن يقال ما كان لله أن يفعله وانّما يصحّ ذلك فيما يصح ويمكن ولذلك لا يقال ما كان لزيد وهو شابّ أن يلد رجلا شيخا لأنّ ذلك يستحيل؟

وجوابنا: أن القوم كانوا ينسبونه الى ذلك فنفى عن نفسه على الوجه الذي كانوا يضيفونه اليه ولذلك قال: ﴿سبحانه﴾[2]، فنزّه نفسه عن ذلك وبيّن أنّ كلّ الأولاد من خلقه، وأنّه قادر على خلقهم، فلا يجوز عليه الولادة وقد يقال ذلك بمعنى البيان والدّلالة إذا دلّ وبين أن ذلك لا يجوز عليه.

[المسألة العاشرة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ﴾[3] كيف جاز من ابراهيم –عليه السّلام– أن يقول ذلك، ولم يكن أبوه ممن يعبد الشّيطان؟

وجوابنا أنه أراد لا تتبعه ولا تطعه، كما روي في تفسير قوله –تعالى–: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾[4]، فقال –صلّى الله عليه وسلّم– لم يتّخذوهم أربابًا بالعبادة، لكن أطاعوهم في التّحليل والتّحريم، ولذلك قال ابراهيم –صلّى الله عليه وسلّم–

---

[1] سورة مَرْيَم، الآية .

[2] سورة مَرْيَم، الآية .

[3] سورة مَرْيَم، الآية .

[4] سورة مَرْيَم، الآية .

﴿لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ﴾[1]، لأنّه كان يعبد الأصنام، فلا يجوز أن يريد بقوله: ﴿لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ﴾[2] إلاّ ما ذكرنا ولذلك قال من بعد: ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا﴾[3].

ومعنى قوله من بعد: ﴿قالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾[4] انّه ان تاب وقبل قول ابراهيم يستغفر له ويرجو له الثّواب والنّجاة، لأنه لا يسْتغفر له، وهو على إصراره على الكفر.

[المسألة الحادية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ﴾[5]: كيف يصحّ ذلك وولادة اسحاق كانت بعد ذلك بزمان وولادة يعقوب أبعد من ذلك؟

وجوابنا أنّه –تعالى– بين أنه لما اعتزلهم لم يدعه فريدا وحيدًا، بل خلق له الاولاد، وليس في ذلك ذكر وقت مخصوص.

[المسألة الثّانية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[6]: كيف يصحّ ذلك، وليس في الجنّة ليْل يتلوه نهار؟

وجوابنا: أنّ المراد بذلك تقدير وقت الأكل فقدّر –جلّ وعزّ– بما جرت به العادة لا أن هناك نهارا بعده ليل أو يجوز أن يكون لهم علامات تتقدر بها هذه الاوقات على حسب أوقات الليل والنهار بعده ليل أو يجوز أن يكون لهم علامات تتقدّر بها هذه

---

[1] سورة مَرْيَم، الآية .
[2] سورة مَرْيَم، الآية .
[3] سورة مَرْيَم، الآية .
[4] سورة مَرْيَم، الآية .
[5] سورة مَرْيَم، الآية .
[6] سورة مَرْيَم، الآية .

الاوقات على حسب أوقات اللّيل والنّهار وقد قيل إن هناك من الحجب وغلق الابواب ثمّ فتحها ورفع الحجب ما يدلّ على ذلك.

وبيّن تعالى من صفتهم ما تشتد فيه الرغبة فقال تعالى ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلاَّ سَلاماً﴾ وقال ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا﴾[1].

[المسألة الثّالثة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَما نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَما خَلْفَنا﴾[2]: ما المراد بذلك؟

وجوابنا أنّه بيّن به أنّه مالك الأفعال في الأوقات الماضي والمستقبل والدّائم، وأنّ التّقديم والتّأخير سواء في أنّه عالم به؛ ولذلك قال بعده: ﴿وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[3].

[المسألة الرّابعة عشر]

وربّما يتعلّق بعضهم بقوله: ﴿رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما﴾[4] وقال بينهما أفعال العباد، فيجب أن يكون ربّها؛ وذلك يدلّ على أنّه يكون خالقها؟

وجوابنا أن ما بينهما هو الاجسام كالهواء وغيره فلا مدخل لافعال العباد في ذلك وبعد فقد يقال أنه تعالى ربنا ورب أفعالنا لما صحّ منه انّه يمكن منها ويمنع منها.

ولذلك قال بعده: ﴿فَاعْبُدْهُ﴾[5] وذلك بين خروج العبادة وما جرى مجراها ممّا ذكر أولا ومعنى قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[6]، أي مثيلاً ونظيرًا، فذكر الاسم وأراد المسمّى؛ فليس لأحد أن يسأل عن ذلك.

---

[1] سورة مَرْيَم، الآية .

[2] سورة مَرْيَم، الآية .

[3] سورة مَرْيَم، الآية .

[4] سورة مَرْيَم، الآية .

[5] سورة مَرْيَم، الآية .

[6] سورة مَرْيَم، الآية .

[المسألة الخامسة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا﴾[1] بعد ذكر جهنم أليس يدلّ ذلك على أنّ كلّ من يحشر يرد النّار، فكيف يصحّ ذلك في أهل الثّواب؟

وجوابنا، أنّه بمعنى القرب منها لا بمعنى الوقوع فيها، كقوله –تعالى– في قصّة موسى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ﴾[2].

وهذه طريقة العرب في الورود بمعنى القرب ولذلك قال بعده: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾[3]، لأنّهم إذا قربوا سلك بأهل الثّواب مسلك الجنّة وأدخل أهل العقاب النّار ولا بدّ أن يتأول على ما ذكرناه، فإنّه –تعالى– بيّن أنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن هذه حالته لا يجوز أن يلقى في النار ويظن به ذلك.

وبين –تعالى– بعده بقوله: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً﴾[4] أنّه –عزّ وجلّ– يخصّ المهتدي بألطاف من حيث آمن واهتدى، وأنّ ذلك يؤدّيه الى الباقيات الصّالحات.

وذكر قبله: ﴿قُلْ مَنْ كانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا﴾[5] أنّه –تعالى– يبقيهم ليزولوا عن الضلالة ويفعل بالمهتدين الهدى ليثبتوا على الايمان.

[المسألة السّادسة عشر]

---

[1] سورة مَرْيَم، الآية .

[2] سورة مَرْيَم، الآية .

[3] سورة مَرْيَم، الآية .

[4] سورة مَرْيَم، الآية .

[5] سورة مَرْيَم، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[1]: كيف يصحّ قولكم أنّه –تعالى– زجرهم عن الكفر بأقوى زجر وعن القبول من الشّيطان، وهو يقول ذلك؟

وجوابنا: أنّ المراد خلينا بين الشّيطان وبينهم، ولم يمنع من ذلك لمَا فيه من المصلحة.

وعلى هذا الوجه يقال فيمن ربط الكلب على باب داره ولم يمنعه من الوثوب على من زاره: قد أرسلت كلبك على النّاس.

وفي قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾[2] دلالة قويّة على ما تأوّلنا عليه قوله –تعالى–: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها﴾[3].

[المسألة السّابعة عشر]

وربّما قيل في قوله تعالى–: ﴿تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً﴾[4] كيف يصح أن يعظم ذلك هذا التّعظيم ثمّ يأمرنا بأن نقرهم عليه بأخذ الجزية؟

وجوابنا: أنّ الله –تعالى– ما عظم إلّا العظيم من القوْل والكفْر، وقد كان يجوز أن لا يخلق من يكفر لكنّه تفضّل وكلّف، لكي يؤمنوا وكذلك لا يمنع أن يأمرنا بأن نقرهم على وجه أقرب إلى أن يؤمنوا عند المخالطة وسماع التّوحيد وعند ما ينالهم من الذلّ بدفع الجزية وبيّن أنّ كلّ من في السّموات والأرض خلقه، وهو قادر على اضعافه، فلا يجوز أن يتخذ منهم ولدًا مع قدرته على أن يكونوا له عبيدًا.

---

[1] سورة مَرْيَم، الآية .

[2] سورة مَرْيَم، الآية .

[3] سورة مَرْيَم، الآية .

[4] سورة مَرْيَم، الآية .

سورة طه

سورة طه

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّماواتِ الْعُلى﴾[1] ما الوجه في أن يقول بعده: ﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾[2]؟

وجوابنا أنّه –تعالى– عظم شأن القرآن من حيث كان ﴿تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّماواتِ﴾[3].

ثمّ أتبعه بما هو أعظم من ذلك، فقال: ﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾[4]؛ والمراد: استولى واقتدر عليه لأن العرش من أعظم ما خلق فنبّه على أنّه اذا كان مقتدرا عليه مع عظمة وعلى السّموات وعلى الارضين ويملك ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى فاعلموا عظم محل القرآن لصدوره عمّن هذا وصفه وتمسكوا بآدابه وأحكامه فذلك بعث من الله تعالى على تدبر القرآن.

وقد بيّنّا من قبل بطلان قول المشبهة بأنه تعالى استوى على العرش وقلنا ان من يصح ذلك عليه يكون حسّا ذا صورة ومن هذا حاله يكون محدثا محتاجا إلى مصور فالمراد الاستيلاء والقدرة كما ذكرناه.

[المسألة الثّانية]

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفى﴾[1]: ما معنى قوله: ﴿وَأَخْفى﴾[2]، ولا شيء أخفى من السرّ؟

وجوابنا ان ما يخطر بالقلب ويحدث المرء به النفس أخفى من السر فنبه على عظم شأنه والعلم بذلك ثمّ قال: ﴿اللهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى﴾[3] فنبّه بذلك على ما يجب من ذكر أسمائه التي تفيد عظم شأنه على ما قدمه من قوله: ﴿تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾[4] ولا فائدة في ذكر أسماء الله إلاّ بأن ينوي المرء بها ما تفيده مما يقتضى تعظيمه واجلاله.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل ما فائدة قوله –تعالى–: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾[5]؟ وإذا جاز أن يكون عليه سائر ثيابه، فما المانع من أن يكون لابسا لنعليْه مع كونه في الوادي المقدّس؟

وجوابنا أنّ النّعليْن تلبسان لا على حدّ ما يلبس سائر الثّياب، ولذلك لا يلبسهما المرء في بيته، وإنّما يلبسهما لدفع الأذى في المواضع التي تُخشى فيها النّجاسات وغيرها.

وعلى هذا الوجه جرت العادة فيمن يعظم المكان أنّه يخلع نعله، فأراد –تعالى– تنبيه موسى على عظم محل الواد المقدّس وأحبّ أن تلحقه بركة ذلك الوادي، وهو يباشره برجله وأحبّ أن يعرّفه عظم محلّه بهذا الصّنيع،

وقد رُوي في نعليه أنّهما كانا من جلد حمار ميّت، فإن كان كذلك فهما أوْلى ما يخلع، وإلّا فالذي قدّمناه وجه صحيح.

[المسألة الرّابعة]

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[1] ما فائدة قوله: ﴿لِذِكْرِي﴾[2] والصلاة لا تقام الا لذكره تعالى؟

وجوابنا انّ قوله: ﴿لِذِكْرِي﴾[3] يرجع إلى الصّلاة والى العبادة جميعا فكأنّه قال فاعبدني لذكري وأقم الصّلاة لذكري وهما جميعا لا يصحّان إلاّ إذا كان المرء ذاكرا لله –تعالى– وتوحيده، لانّ الغافل عن ذلك لا يعتد بما فعله.

وعلى هذا الوجه يجتهد المرء في الصّلاة أن يتحرّز من السّهو، فيكون ذاكرًا لله قاصدًا بما يأتيه إلى عبادته، وخصّ –تعالى– الصّلاة بالذكر، وإن دخلت في جملة العبادة تفخيمًا لشأنها.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكادُ أُخْفِيها﴾[4]: ما فائدة قوله –تعالى–: ﴿أَكادُ أُخْفِيها﴾؟

وجوابنا: أنّ المُراد أخفى ما فيها لِمَا في ذلك من المصلحة. فإن أراد –تعالى– أخفى موت كلّ أحد، ففي ذلك مصلحة، لأنّه متى علم وقت موته كان ذلك إغراء بالمعاصي أن تطاول وإلجاء إلى الطّاعة أن تقارب.

وإن أراد –تعالى– ما يظهر من زوال التّكليف وحصول أشراط السّاعة، فقد أخفاها، والمصلحة فيها ظاهرة لما بيّنا.

فلمّا كان ذلك مصْلحة أخفاها –تعالى– وذكر ذلك بهذا اللّفظ معتاد لقرب الأمر والفائدة فيه أن يظنّ قربها، فيكون المرء إلى الطّاعة أقرب، ولذلك قال –تعالى– ﴿لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعى﴾[5].

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنْ هذانِ لَساحِرانِ يُرِيدانِ﴾[1]: لحن ظاهر، فكيف يجوز ذلك في القرآن؟

وجوابنا: أنّ كثيرًا من القراء قرأ إن هذين وهي مروية عن الحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النّخعي وعمرو بن عبيد وعيسى بن عمر وعاصم.

وقد حكي عن الزّهري وغيره أنّه قرأ: ﴿إِنْ هذانِ لَساحِرانِ﴾[2] بتخفيف: إن.

ورُوي أيضًا ذلك عن عاصم.

وبعد فإذا جاز في الحقائق أن يعدل عنها الى المجاز في كتاب الله لم يمتنع مثل ذلك فيما ذكرته، فيكون –تعالى– ذكر إن وأراد غيره كما قيل: إنّ معناه نعم وأجل.

وقد قيل إن ذلك لغة بني الحارث بن كعب يقولون رأينا الزيدان وقيل شبهت الالف بقول القائل يفعلان فلم تغيّر.

قال الزجّاج فيها اضمار والمعنى إنه هذان لساحران.

وقيل: لمّا كان هذا يستعمل في موضع الرفع والنصب والخفض على أمر واحد لم تغير التثنية وأجريت مجرى الواحد.

وإذا كان في القرآن يدعى الحذف في مواضع كثيرة ليصح المعنى فما الذي يمنع من أن يدعى في ذلك حذف يخرج معنى الكلام من أن يكون لحنا وإذا صحّ ذلك فالحذف الذي يصحّ فيه كثير لا معنى لعده.

[المسألة السّابعة]

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ بَلْ أَلْقُوا﴾[1]: كيف يصح من موسى –عليه السّلام– أن يأمر بذلك وهذا الفعل منهم قبيح؟

وجوابنا: أنّه أمر بشرط، فإنّه قال إن كنتم محقّين فيما تدّعون فافعلوا وهذا كما يقول الحاكم للمنكر احلف على ما أنكرت فيكون مراده مثل ذلك.

ولا يمتنع أن يقال إن الالقاء اذا انكشف به المعجز من موسى –صلّى الله عليه وسلّم– جاز أن يحسن من وجه فلا يكون قبيحًا من كلّ وجه.

[المسألة الثّامنة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى﴾[2]: كيف يخاف موسى، وهو عالم بما يظهر عليه، وأنّه يكشف عن بطلان ما أتوه؟

وجوابنا: أنّه يجوز أن يكون خائفا على قوم قد شاهدوا ما فعلته السّحرة أن يفسدوا ويثبتوا على فسادهم خصوصا أن تأخر امره –تعالى– بإلقاء العصا.

ومَن تأمّل حال فرعون وقومه مع كثرتهم كيف ذهلوا عن القبول من موسى –صلّى الله عليه وسلم– مع ظهور أمره علم أن شهوة المرء وهواه مسلّطان عليه فيجب أن يتحرّز التحرّز الشديد من أتباع الهوى وإيثار الدنيا على الآخرة ويبذل الجهد في اتباع الحق وإن شق وأوجب مفارقة الإلف والعادة ومفارقة السّلطان والرّئاسة.

وكذلك القول في السّحرة الذين آمنوا بموسى –صلّى الله عليه وسلم–، لمّا رأوا أمره الذي بهرهم، كيف انقادوا واختاروا الايمان وحسن العاقبة على القتل والصّلب.

فالمحكيّ عن ابن عبّاس –رضي الله عنهما– أنّه قال: "أصبحوا من أهل النار وأمسوا من أهل الجنّة" كلام هذا معناه.

وروي أنّه أكرههم على ذلك السّحر لقولهم: ﴿وَما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقى﴾[3]، ثمّ قال –سبحانه– قالوا: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

فِيها وَلا يَحْيى وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ فَأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَذلِكَ جَزاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾[1].

فإن كان هذا من قول السّحرة دلّ على استبصار منهم، وإن كان من كلامه –تعالى– دلّ على أنّ دار المجرمين غير دار الصّالحين المؤمنين.

وقوله –تعالى–: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَما هَدى﴾[2] يدلّ على شدّة الذمّ له، وعلى أنّه –تعالى– لا يضلّ عن الدّين، وأنّه أراد باضافة الضّلال إلى نفسه ما تأوّلناه من أن المراد به العقاب وما يتّصل به.

ولذلك قال –تعالى–: ﴿وَما يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفاسِقِينَ﴾[3]، ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾[4]؛ ثمّ قال: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[5] الى غير ذلك.

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾[6]: ما الوجه في ذلك، وقد آمنوا به؟

وجوابنا: أنّ المُراد بذلك: تشديد المحنة على أمّة الرّسول، لأنّ في حال حياته تكون المحنة أخفّ منها بعد وفاته؛ وكذلك حال حضوره تكون المحنة أخفّ من حال غيبته، ولذلك قال –تعالى–: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[7] بما اتّخذه من العجل.

[المسألة العاشرة]

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

[6] سورة طَهَ، الآية .

[7] سورة طَهَ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى﴾[1]، والوصْف المتقدّم هو الاهتداء.

وجوابنا انه لزم هذه الطريقة وحفظها لما كلف من الطاعات لينتفع بذلك.

[المسألة الحادية عشر]

وربّما قيل ما معنى قوله –تعالى– حكاية عمّن لم يعبد العجل من بني اسرائيل ﴿ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا﴾[2]؟ وما الفائدة في ذلك لأن هذا الكلام لا معنى له؟

وجوابنا انّ مرادهم إنّا لم نجد السّبيل إلى ردّ من عبد العجل، ولم نتمكّن من ذلك، فلم نخلف ما كنّا وعدناك من إنكار مثل ذلك.

[المسألة الثّانية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ يَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي﴾[3]: كيف يجوز ذلك على الانبياء، وقد أدّبه الله –تعالى– بقوله: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً﴾[4]، فأمره بذلك في معاملة فرعون ويفعل بأخيه مثل هذا الفعل؟

وجوابنا: أنّ ظاهر ذلك لا يدلّ على أنّ موسى فعل، وإن كان هارون جوّز أن يفعل والذي في القرآن أنّه أخذ برأسه يجره إليه ليظهر لبني إسرائيل غضبه عليهم، ومثل ذلك يحسن كما يحسن أن يأخذ نفسه، فأحبّ هارون أن لا يفعل ذلك، وإن كان فيه إنكار وإظهار للغضب، ويفعل ما يقوم مقامه.

[المسألة الثّالثة عشر]

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

وربّما قيل: كيف يجوز في نبيّ من أنبياء الله أن يقول: ﴿وَانْظُرْ إِلى إِلهِكَ الَّذِي﴾[1]، فسمّى العجل الذي اتّخذه إلها؟

وجوابنا: أنّ مراده ما اتخذته إلها على وجه التّوبيخ، ولذلك قال بعده: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً إِنَّما إِلهُكُمُ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾[2].

[المسألة الرّابعة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً﴾[3]: كيف يصحّ أن يخفى عليهم ذلك مع كثرتهم، لأنّه –تعالى– قال: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾[4]؟

وجوابنا: أنّ المراد لبثهم بعد الممات فان ذلك يخفى ولا يعلم ولم يتفقوا على ذلك كما قال –تعالى–: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً﴾[5].

[المسألة الخامسة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى﴾[6]: كيف يصحّ هذا الوصف، وقد ثبت أنهم في الآخرة يبصرون، كما قال –تعالى–: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾[7]؟ وكيف يصحّ أن تكون معيشتهم ضنكا وفيهم من ليس هذا وصفه؟

---

[1] سورة طَهَ، الآية .
[2] سورة طَهَ، الآية .
[3] سورة طَهَ، الآية .
[4] سورة طَهَ، الآية .
[5] سورة طَهَ، الآية .
[6] سورة طَهَ، الآية .
[7] سورة طَهَ، الآية .

وجوابنا: أنّه –تعالى– يحشرهم عميًا، ثمّ يبصرون، لأنّ أحوال الآخرة مختلفة.

وقد قيل: مشبّهًا بالأعمى لِمَا ينزل به من الحيرة.

[المسألة السّادسة عشر]

ومتى قيل: كيف يصحّ ذلك مع قوله –تعالى– من قبل: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾[1]، وهذا صفة للبصر؟

فجوابنا: أنّ المراد نحشرهم زرقا عميًا، ثمّ يبْصرون.

وقد قيل: شبه الاعمى بالازرق لذهاب السّواد عن البصر.

وقوله من بعد: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً﴾[2] يدلّ على أنّهم مع معرفتهم بالآخرة، فإنّهم آمنون.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

سورة الأنبياء

سورة الأنبياء

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ﴾[1] ما فائدة تكرار هذه الكلمة؟ وكيف ترتبط بما تقدم ولم يتقدم في الكلام جحد فتليق به هذه الكلمة؟

وجوابنا: أنه تعالى قد ذكر عن الكفار الجحود بقوله: ﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هذا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾[2].

فبيّن –تعالى– بعده أنه عالم بجحودهم، ثمّ ذكر: ﴿بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ﴾[3] فبين اختلاف أقاويلهم، وأنّ فيهم مَن قال إن الذي يأتينا من المنامات المختلفة.

وقال بعضهم: افتراه.

وقال بعضهم: هو سحر، وأنّهم تحيّروا في أمره، فذكر –تعالى– إنكارهم لنبوّته، وحقّق ذلك بما حكاه عنهم بقوله: ﴿بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ﴾[4].

وبيّن بقوله: ﴿وما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾[5] أنّه في إزاحة العلّة ببعْثه الأنبياء قد بلغ الغاية، فلم يبعث من نسب إلى نقْص، فيكون في بعثته تنْفير عن القبول منه.

[المسألة الثّانية]

---

[1] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[2] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[3] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[4] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[5] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1]: كيف يعرف أنه لم يرسل إلاّ الرّجال فيرجع الى مسألة أهل الذّكر؟

وجوابنا أن أهل الذّكر والعلم يعلمون أن بعثة الأنبياء اذا كانت للمصْلحة والدّعاء إلى الطّاعة، فلا بدّ من أن يكون المبعوث لا نقص فيه ولا عيب ينفر عنه وبيّن –تعالى– بقوله: ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما﴾[2] لا يحْسن أنّه خلق ذلك على وجه الحكمة وعرض للثواب العظيم وخلق ما يكون لعبا، وهو معنى قوله –تعالى–: ﴿ما خَلَقْناهُما إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[3]، ومعنى قوله: ﴿لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً﴾[4].

ثمّ حقق ذلك بقوله –تعالى–: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ﴾[5]، وقال لمن خالف الحقّ: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[6].

ثمّ بيّن –تعالى– حال عبادة الملائكة له وخضوعهم، وأنّهم لا يسْتكبرون عن عبادته. وكلّ ذلك ترغيب لنا في الطّاعة ثمّ قبح –تعالى– فعلهم، فقال: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾[7] تبْكيتا لهم.

ثمّ بيّن فساد ذلك بقوله –تعالى–: ﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتا﴾[8]، فبيّن أنّه لو كان يدبرهما آلهة لفسد ما هما عليه بأن يريد أحدهما أن يكون ليْلاً والآخر نهارًا أو يريد أحدهما أن يكون حرّ والآخر برد، فكان التّدبير فيهما يفسد.

وهذا هو دليل علماء التوحيد في أنّه لا ثاني لله –تعالى– قد نبّه سبحانه عليه بهذه الكلمات اليسيرة. ونزّه نفسه عن هذا القول بقوله: ﴿فَسُبْحانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[9].

---

[1] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[2] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[3] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[4] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[5] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[6] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[7] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[8] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[9] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

ثمّ بيّن –تعالى– حكمته في فعله لقوله: ﴿لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ لأن من كلّ أفعاله حكمة لا يسأل عن فعل وإنّما يسأل من في فعله سفه كما أنّ مَن في فعله قبح، وذلك يبطل قول هؤلاء المجبرة، لأنّه لو كان كلّ ظلم وقبح من فعله كان يجب أن يسأل عمّا يفعل تعالى الله.

وبيّن بقوله: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ﴾[1] أنّ من لا حجّة معه فيما يأتيه فهو جاهل وفي ذلك دلالة على فساد التّقليد، وأنّ كلّ قول لا برهان معه لا يصحّ.

ثمّ قال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾[2]، فنبّه بذلك على انّ المحقّ هو الاقلّ.

ثمّ نبّه على بطلان قول النّصارى، فقال: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ﴾[3]؛ فبيّن انّ منزلة عيسى وسائر الانبياء أنّهم مكرمون ومعظمون، وأنّه منزّه عن الولادة ونزّه نفسه عن ولادة الملائكة كما كانت العرب تقوله من أنّهم بنات الله –تعالى–، فقال: ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[4]، وبيّن أنّهم ﴿لا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[5]؛ وبيّن بذلك انّ الشّفاعة لا تكون إلاّ لمَن ارْتضى الطّريقة، وبيّن أنهم مع عبادتهم العظيمة يشْفقون.

وكلّ ذلك ترغيب لنا في العبادة وفي العدول عن الاباطيل من المذاهب وبين تعالى بقوله ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[6] أن من تكبر وأنزل نفسه عن منزلته فهو معذب عليه وان كل من قال ذلك فهذا سبيله.

ثمّ بيّن –تعالى– دلالة حدوث الاجسام بقوله ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما﴾[7].

---

[1] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[2] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[3] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[4] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[5] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[6] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[7] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

وهذا هو دليل علماء التّوحيد، لأنّه إذا لم يخل من الاجتماع والافتراق وهو الرتق والفتق يجب أن يكون محدثا فلو لم يكن في كتاب الله من التّنبيه على أدلّة التّوحيد والعدل وغيرهما إلّا ما ذكرناه في هذه الآية لكفى وكيف يذهب عن ذلك مَن يزعم أنّه ليس في الكتاب التّنبيه على علم الكلام ولا في السّنن مع الذي ذكرناه.

ثمّ بيّن –تعالى– عظم نعمه بقوله: ﴿وَجَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾[1] الآيات، وقوله –تعالى–: ﴿وَما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾[2] فنبّه بذلك على أنّه خلق هذه النعم للمكلّفين، وأنّ تكليفهم منقطع وان مراده –تعالى– أن يهيّئهم لدار أخرى، وهي دار الخلود دون هذه الدّار، فلذلك قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[3]، فبيّن أنّه يكلّف ثمّ يميت ثمّ يجازي.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[4] أليس يدل ذلك على أن الشر كالخير في أنه من قبل الله تعالى؟

وجوابنا: أنّ البلوى إنما تقع بالأمر والنّهي ولا شبهة في أنّه –جلّ وعزّ– لا يأمر بالشرّ؛ فالمراد به في هذه الآية: الميثاق والآلام، وأنّه –تعالى– يبْلو المكلّف بذلك، كما يبلوه بالخير، وينزل به المصائب والأمراض، كما يعاقبه. وبيّن أن حال الدّنيا ليست كحال الآخرة التي لا يتغيّر ما بأهلها إمّا عقاب يدوم، وإمّا ثواب خالص يتّصل بهم.

ولو كان الشرّ من قبَل الله –تعالى–، لوجب أن يوصف بأنّه شرّير إذا أكثر منهم وعندهم لا شر إلاّ من قبل الله، والله –تعالى عن قولهم علوًّا كبيرًا–.

---

[1] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[2] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[3] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[4] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

وقوله –تعالى–: ﴿وَإِلَيْنا تُرْجَعُونَ﴾[1] يدلّ على أنّ المراد ما قدّمناه، وأنّه يجازيهم على ما ابتلاهم به عند رجوعهم اليه والمراد بقوله: ﴿وَإِلَيْنا تُرْجَعُونَ﴾[2] الى حيث لا حاكم ولا مالك سواه، لأنّ في دار الدّنيا قد فوض –تعالى– هذه الامور الى غيره وفي الآخرة لا حاكم سواه.

وهذا كما اذا تنازع الخصمان، فإنّهما يقولان: يرجع أمرنا إلى فلان؛ والمُراد هو الذي يفصل في ذلك ويحكم، فلا دلالة للمشبّهة في شيء من ذلك.

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل ما معنى قوله –جلّ وعزّ– ﴿خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[3]، ومعلوم أنّه ليس بمخلوق من ذلك، بل لا يصحّ ذلك فيه.

وجوابنا أنّ ذلك من الكلام الفصيح في الانكار والتّبكيت فمن يكثر غضبه يقال له كأنك خلقت من الغضب ومن يكثر نسيانه يقال فيه ذلك فنبّه –تعالى– على أن الواجب على المرء التوقف والتثبت وتأمل ما يلزمه من الادلة وغيرها.

فلذلك قال بعده: ﴿سَأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ﴾[4] وقال –تعالى–: ﴿وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[5] يستعْجلون لأنفسهم العذاب جهلا منهم كما قال –تعالى–: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِها وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْها وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾[6].

---

[1] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[2] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[3] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[4] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[5] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[6] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّها وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[1].

ثمّ أنّه –تعالى– عزّى رسوله –صلّى الله عليه وسلم– في اختلافهم عليه وفي عنادهم، فقال: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾[2]؛ فبيّن أنّ الواجب فيما يفعل أن ينظر في عواقبه فإذا كانت العاقبة مكروهة لم يحسن أن يغتبط بها فخلافهم عليك يا محمد إذا كان يعقب مثل ذلك فهو وبال ودمار.

ثمّ بيّن –تعالى– أنّه على اختلال أحوالهم حافظ لهم ودافع للمكاره عنهم، فقال ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ﴾[3]، يبعثهم بذلك على طاعته لإدامة النّعم عليهم ونبههم بذلك أن لا إله سواه يدفع عنهم المكاره؛ فلذلك قال: ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾[4]، فهجّن بذلك صنيع عبّاد الاوثان وبيّن –تعالى– أنّه مع ذلك متّعهم بالبقاء، لكي يؤمنوا، وأطال عمرهم، فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْنا هؤُلاءِ وَآباءَهُمْ حَتَّى طالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾[5].

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها﴾[6] كيف يصحّ تعلّق ذلك بقوله: ﴿بَلْ مَتَّعْنا هؤُلاءِ﴾[7]؟

وجوابنا: أنّه بيّن قدرته على إفناء كثير من الخلق وخصّهم بأن متّعهم.

---

[1] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[2] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[3] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[4] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[5] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[6] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[7] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

فقد روي عن بعض المفسّرين: أنّ المراد موت العلماء، وروي عن بعضهم: أن المراد به إنزال أسباب الهلاك على قوم منهم وذكر –تعالى– الارض وأراد هلاك أهلها.

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قُلْ إِنَّما أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إِذا ما يُنْذَرُونَ﴾[1]: كيف يصحّ أن يصفهم بالصّمم، ثمّ يذمّهم بقوله: ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يا وَيْلَنا﴾[2]؟

وجوابنا: أنّ ذلك جرى منه –تعالى– على مذهب العرب في وصفهم بما هو مبالغة في الاعراض عن سماع الآيات، لأنّ مَن اشتدّ اعراضه يوصف بأنّه أصم لا يسمع، كما قال –تعالى–: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ﴾[3]، وكما قال –عزّ وجلّ– في وصف الكفّار: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[4]، وكما يُقال: حبّك للشّيء يعمي ويصمّ.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل: ما معنى قوله –تعالى–: ﴿وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾[5]؟ وأيّ مدخل للموازين في أعمال العباد وفي المجازات؟

وجوابنا: أنّ المُراد بذكر الموازين: العدل في باب المجازاة، ولذلك قال –تعالى– بعده ﴿فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ﴾[6].

فهذا جواب بعض علماء التّوحيد، وقال بعضهم: بل هناك موازين يوزَن بها ما تظهر به حال المرء في أنّه من أهل الثّواب أو من أهل العقاب.

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .

ومَن قال بذلك يقول توزن الصّحف التي فيها ذكر الحسنات والسيّئات فيتبين الرجحان.

وقال بعضهم: يجعل –تعالى– في إحدى الكفّتيْن علامة من نور، فتكون علامة الثّواب، وفي الأخرى ظلمة، فتكون علامة العقاب.

والفائدة في ذلك: أن يعرف في دار الدّنيا ما يخاف في الآخرة عند ذلك من الفضيحة لمَن عصاه، فيزداد بذلك غمًّا ويصرفه ذلك عن المعاصي، وما يحصل من السّرور لأهل الثّواب في ذلك الموقف العظيم، فيصير زائدًا في المسألة والطّاعات.

ونبّه بقوله –جلّ وعزّ–: ﴿وَكَفى بِنا حاسِبِينَ﴾[1] على ما ذكرنا من أنّه يتولّى –عزّ وجلّ– المحاسبة.

[المسألة الثّامنة]

ومتى قيل كيف يتولاه؟

فجوابنا: أن يفعل كلاما في بعض الاجسام، فيظهر به حال المكلّف واذا جاز ونحن في الدّنيا أن يرزقنا وإن كان لا يرى ولا مكان له جاز أيضا في الآخرة أن يكلّم المكلف، وأن يتعالى عن الرّؤية والمكان.

وبيّن –تعالى– بعده أنه آتى موسى وهارون الفرقان، وما هو ذكر للمتقين الذين يخشون ويشفقون.

ثمّ قال: ﴿وَهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ﴾[2]، يعني: الفرقان، أفأنتم له منكرون؟ وذلك تبكيت لمن أنكره.

ثمّ بيّن –تعالى– قصّة ابراهيم –صلّى الله عليه وسلم– ليبعث بذلك على الطّاعة وما تحمله من الشدّة في مخاطبة أبيه وقومه وصرفهم عن عبادة الأصنام الى عبادة الله –تعالى–.

---

[1] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[2] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

ونبّه بقوله –تعالى–: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1] على فساد التّقليد.

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى– ﴿قالُوا أَجِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ قالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[2]: كيف يكون مجيبا لهم بهذا الكلام وبهذه الشّهادة؟

وجوابنا: أنّ قوله: ﴿قالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾[3] كاف في بيان جوابهم، لأنّ معرفة الله –تعالى– إنّما تحصل بأفعاله.

فلمّا تمّ ذلك خصّه بقوله –تعالى–: ﴿وَأَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[4]، لا أنّه جعل الحجّة بشهادته، بل أورده توكيد للدّلالة.

[المسألة العاشرة]

وربّما قالوا في قوله –تعالى ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا﴾[5]: أليس ذلك يدل على أن ابراهيم –صلّى الله عليه وسلّم– كذب في هذه الحال، وأنّ الانبياء لا يجوز عليهم الكذب وأنتم تمنعون من ذلك؟

وجوابنا: أنّه –صلّى الله عليه وسلّم– أورد ذلك على وجه التوبيخ لهم لينبّههم على أنّ الذي تعبده القوم لا يصحّ منه نفع ولا ضرّ.

---

[1] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[2] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[3] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[4] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[5] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

ولذلك قال بعده: ﴿فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾[1]، قال: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ﴾[2]، ثمّ قال بعده: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ﴾[3]، وكلّ ذلك يدلّ على ما قلناه.

[المسألة الحادية عشر]

وربّما تعلّق بعض المجبرة بقوله –تعالى–: ﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً﴾[4]، وأنّ ذلك يدلّ على أنه الخالق للطّاعة؟

وجوابنا في ذلك: أنّ المُراد جعلهم أنبياء بإظهار المعجزات، وذلك من قبله –جلّ وعزّ–، وإن كانوا لا يتأهّلون لذلك إلاّ بعد تقدّم عبادات وطاعات من جهتهم.

ولذلك قال بعده: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ﴾[5]، فأضاف الخيرات إلى فعلهم، وقال: ﴿وَكانُوا لَنا عابِدِينَ﴾[6]، فمدحهم باضافة العبادة إليهم.

[المسألة الثّانية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ﴾[7]: كيف يصحّ ذلك مع قوله: ﴿وَكُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً﴾[8]؟

وجوابنا: أنّ الذي حكم به داود كان حقًّا في وقته وفهم سليمان نسخ ذلك، فلا يدلّ على مناقضة في الكلام.

---

[1] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[2] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[3] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[4] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[5] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[6] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[7] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[8] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[المسألة الثّالثة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[1]: كيف يصحّ التسبيح من الجبال والطير؟ وما معنى قوله بعد ذلك: ﴿وَكُنَّا فاعِلِينَ﴾[2]، وقد أفهم ذلك بقوله: ﴿وَسَخَّرْنا﴾[3]؟

وجوابنا: أنّ تسبيح الجبال هو ما يظهر من دلالتها على أنّه –تعالى– منزّه عمّا لا يجوز عليه كما ذكرنا في قوله –جلّ وعزّ–: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾[4] الى غير ذلك.

فلمّا سخّر ذلك لداود على خلاف المعتاد، فكان يتصرّف فيه كما يريد، جاز أن يقول: ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ بظهور أمر معجز فيها وفي الطّير، فهذا معنى الكلام.

وأمّا معنى قوله: ﴿وَكُنَّا فاعِلِينَ﴾[5]، فهو إخبار عن طريقه –جلّ وعزّ– في فعل مثل ذلك فلذلك أتبعه بما أظهره عليه وعلى سليمان –صلّى الله عليه وسلّم– من العجائب وبما أظهره على أيوب وسائر الأنبياء –صلوات الله عليهم–.

وبيّن –تعالى– بعد ما اقتصه من أخبارهم وما أظهره من العجائب فيهم عظم منزلتهم، فقال –تعالى–: ﴿إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً وَكانُوا لَنا خاشِعِينَ﴾[6]، فبعث بذلك على التّمسّك بمثل هذه الطّريقة.

ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[7]، فبعث بكلّ ما تقدّم على إخلاص العبادة له ونبّه على عظيم المجازاة في العبادة بقوله: ﴿كُلٌّ إِلَيْنا راجِعُونَ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ

---

[1] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[2] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[3] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[4] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[5] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[6] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .
[7] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

كاتِبُونَ﴾[1]؛ فبيّن أنّه يجازي على سائر ما فعل، ثمّ بيّن من بعد أشراط السّاعة بقوله: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾[2].

وبيّن كيف ينزل بهم أنواع الخيرات إذا عاينوا العذاب.

فأمّا قوله –تعالى–: ﴿إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[3]، فالمراد به: الأصْنام والأوْثان ولا يدخل في ذلك المسيح كما ظنّه بعض من لا يعرف، وذلك محكي عن بعض المتقدّمين بيّن ذلك أنّه قال –تعالى–: ﴿وَما تَعْبُدُونَ﴾[4] ولو كان المراد العقلاء لأورده بلفظ من وظاهر ذلك أنه –جلّ وعزّ– يعيد هذه الأصنام ويجعلها كالحطب في النّار فيشاهدها من كان يعبدها، فيكون حجّة أعظم.

وبيّن بعده الفضل بين منزلة هؤلاء وبين منزلة الذين سبقت لهم منه الحسنى، فقال –تعالى–: ﴿أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ﴾[5]، وبيّن أنّه لا يحزنهم الفزع الأكبر، وأنّ الملائكة تبشّرهم بمنزلة الثّواب، وبيّن بقوله –تعالى– ﴿نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا﴾[6] أنّه –تعالى– قد أوْجب على نفسه إعادة الخلق وما يتصل بهم.

[المسألة الرّابعة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾[7] كيف يصحّ ذلك، وهو لا يحكم الاّ بالحقّ وما الفائدة في أمره بهذا الدّعاء؟

وجوابنا: أنّ الدّعاء بما لا يجوز خلافه قد يحْسن.

وعلى هذا الوجه ندعو الله للأنبياء والرّسل، ونقول اللّهمّ صلّي على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيتَ على ابراهيم، ونقول اغفر للمؤمنين والمؤمنات.

---

[1] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[2] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[3] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[4] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[5] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[6] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

[7] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

وعلى هذا الوجه قال إبراهيم: ﴿لا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾[1]، فكيف ننْكر ذلك؟! وكيف نظنّ أنّه يجوز أن يحكم بالباطل –تعالى– الله عن قولهم علوًّا كبيرًا؟!

[1] سورة الأَنْبِيَاء، الآية .

محتويات الكتاب

هَوِّيَات الكِتَاب

كتاب تفسير الكشّاف

الجزء الثّاني **52 – 19**

– سورة الأنْعام

[المسألة الأولى]

[المسألة الثّانية]

[المسألة الثّالثة]

[المسألة الرّابعة]

[المسألة الخامسة]

[المسألة السّادسة]

[المسألة السّابعة]

[المسألة الثّامنة]

[المسألة التّاسعة]

[المسألة العاشرة]

[المسألة الحادية عشر]

[المسألة الثّانية عشر]

[المسألة الثّالثة عشر]

[المسألة الرّابعة عشر]

[المسألة الخامسة عشر]

[المسألة السّادسة عشر]

[المسألة السّابعة عشر]

[المسألة الثّامنة عشر]

[المسألة التّاسعة عشر]
[المسألة العشرون]
[المسألة الحادية والعشرون]
[المسألة الثّانية والعشرون]
[المسألة الثّالثة والعشرون]
[المسألة الرّابعة والعشرون]
[المسألة الخامسة والعشرون]
[المسألة السّادسة والعشرون]
[المسألة السّابعة والعشرون]
[المسألة الثّامنة والعشرون]
[المسألة التّاسعة والعشرون]
[المسألة الثّلاثون]
[المسألة الحادية والثّلاثون]
[المسألة الثّانية والثّلاثون]
[المسألة الثّالثة والثّلاثون]
[المسألة الرّابعة والثّلاثون]
[المسألة الخامسة والثّلاثون]
[المسألة السّادسة والثّلاثون]
[المسألة السّابعة والثّلاثون]
[المسألة الثّامنة والثّلاثون]
[المسألة التّاسعة والثّلاثون]
[المسألة الأربعون]
[المسألة الحادية والأربعون]
[المسألة الثّانية والأربعون]

- سورة الأعْراف
[المسألة الأولى]

[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]
[المسألة الحادية عشر]
[المسألة الثّانية عشر]
[المسألة الثّالثة عشر]
[المسألة الرّابعة عشر]
[المسألة الخامسة عشر]
[المسألة السّادسة عشر]
[المسألة السّابعة عشر]
[المسألة الثّامنة عشر]
[المسألة التّاسعة عشر]
[المسألة العشرون]
[المسألة الحادية والعشرون]
[المسألة الثّانية والعشرون]
[المسألة الثّالثة والعشرون]
[المسألة الرّابعة والعشرون]
[المسألة الخامسة والعشرون]
[المسألة السّادسة والعشرون]
[المسألة السّابعة والعشرون]
[المسألة الثّامنة والعشرون]

[المسألة التّاسعة والعشرون]
[المسألة الثّلاثون]
[المسألة الحادية والثّلاثون]
[المسألة الثّانية والثّلاثون]
[المسألة الثّالثة والثّلاثون]
[المسألة الرّابعة والثّلاثون]
[المسألة الخامسة والثّلاثون]
[المسألة السّادسة والثّلاثون]
[المسألة السّابعة والثّلاثون]
[المسألة الثّامنة والثّلاثون]
[المسألة التّاسعة والثّلاثون]

- سورة الأنْفال
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]
[المسألة الحادية عشر]
[المسألة الثّانية عشر]
[المسألة الثّالثة عشر]

- سورة التّوبة
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]
[المسألة الحادية عشر]
[المسألة الثّانية عشر]
[المسألة الثّالثة عشر]
[المسألة الرّابعة عشر]
[المسألة الخامسة عشر]
[المسألة السّادسة عشر]
[المسألة السّابعة عشر]
[المسألة الثّامنة عشر]
[المسألة التّاسعة عشر]
[المسألة العشرون]
[المسألة الحادية والعشرون]
[المسألة الثّانية والعشرون]
[المسألة الثّالثة والعشرون]
[المسألة الرّابعة والعشرون]
[المسألة الخامسة والعشرون]
[المسألة السّادسة والعشرون]

[المسألة السّابعة والعشرون]
[المسألة الثّامنة والعشرون]

- سورة يونس
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]
[المسألة الحادية عشر]
[المسألة الثّانية عشر]
[المسألة الثّالثة عشر]
[المسألة الرّابعة عشر]
[المسألة الخامسة عشر]
[المسألة السّادسة عشر]
[المسألة السّابعة عشر]
[المسألة الثّامنة عشر]

- سورة هود
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]

[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]
[المسألة الحادية عشر]
[المسألة الثّانية عشر]
[المسألة الثّالثة عشر]
[المسألة الرّابعة عشر]
[المسألة الخامسة عشر]
- سورة يوسف
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]
[المسألة الحادية عشر]
[المسألة الثّانية عشر]
[المسألة الثّالثة عشر]
[المسألة الرّابعة عشر]

[المسألة الخامسة عشر]
[المسألة السّادسة عشر]
[المسألة السّابعة عشر]
[المسألة الثّامنة عشر]
[المسألة التّاسعة عشر]
[المسألة العشرون]
[المسألة الحادية والعشرون]
[المسألة الثّانية والعشرون]
[المسألة الثّالثة والعشرون]
[المسألة الرّابعة والعشرون]
[المسألة الخامسة والعشرون]
[المسألة السّادسة والعشرون]
[المسألة السّابعة والعشرون]
[المسألة الثّامنة والعشرون]
[المسألة التّاسعة والعشرون]
[المسألة الثّلاثون]

- سورة الرّعد
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]

[المسألة العاشرة]
[المسألة الحادية عشر]
[المسألة الثّانية عشر]
[المسألة الثّالثة عشر]
[المسألة الرّابعة عشر]
[المسألة الخامسة عشر]
[المسألة السّادسة عشر]

- سورة إبراهيم
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]

- سورة الحجر
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]

- سورة النّحل
[المسألة الأولى]

[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]
[المسألة الحادية عشر]
[المسألة الثّانية عشر]
[المسألة الثّالثة عشر]
[المسألة الرّابعة عشر]
[المسألة الخامسة عشر]
[المسألة السّادسة عشر]
[المسألة السّابعة عشر]
[المسألة الثّامنة عشر]

- سورة الإسْراء
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]

[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]
[المسألة الحادية عشر]
[المسألة الثّانية عشر]
[المسألة الثّالثة عشر]
[المسألة الرّابعة عشر]
[المسألة الخامسة عشر]
[المسألة السّادسة عشر]
[المسألة السّابعة عشر]
[المسألة الثّامنة عشر]
[المسألة التّاسعة عشر]

- سورة الكهْف
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]
[المسألة الحادية عشر]
[المسألة الثّانية عشر]
[المسألة الثّالثة عشر]
[المسألة الرّابعة عشر]

[المسألة الخامسة عشر]
[المسألة السّادسة عشر]

- سورة مرْيم
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]
[المسألة الحادية عشر]
[المسألة الثّانية عشر]
[المسألة الثّالثة عشر]
[المسألة الرّابعة عشر]
[المسألة الخامسة عشر]
[المسألة السّادسة عشر]
[المسألة السّابعة عشر]

- سورة طه
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]

[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]
[المسألة الحادية عشر]
[المسألة الثّانية عشر]
[المسألة الثّالثة عشر]
[المسألة الرّابعة عشر]
[المسألة الخامسة عشر]
[المسألة السّادسة عشر]

- سورة الأنْبياء
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]
[المسألة الحادية عشر]
[المسألة الثّانية عشر]
[المسألة الثّالثة عشر]

[المسألة الرّابعة عشر]

محتويات الكتاب **61 – 64**

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع